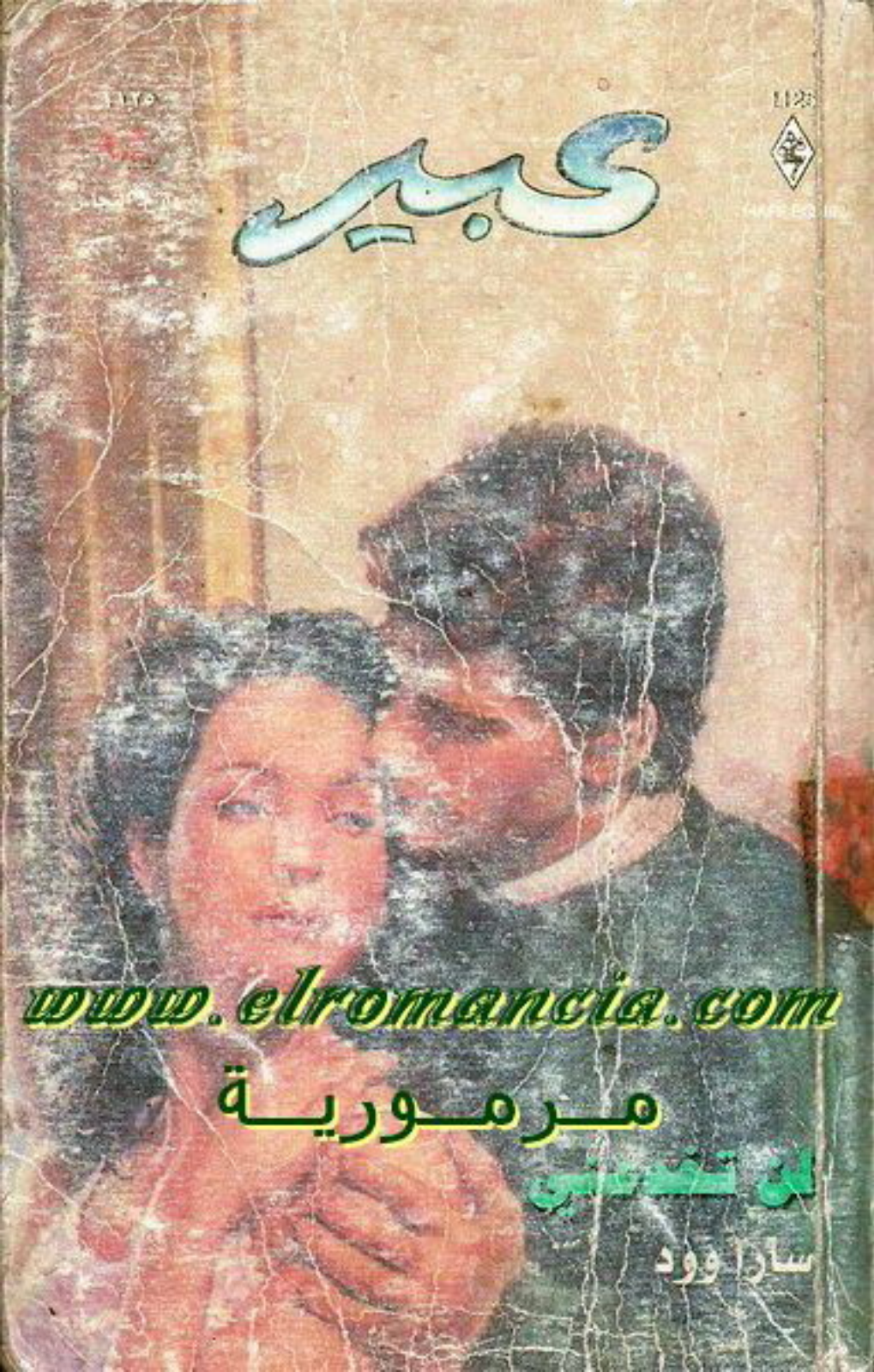
1128
حب
www.elromancia.com
مرمورية
لن تخسرني
سارا وود

# لن تخدعني

عادت جاكلين الى أفريقيا بداعي العمل،

لكنها صدمت برفض رئيسها لها كونها

انثى. فأذلها ، ابدى عدم اعجابه بمؤهلاتها.

نشبت بينهما عداوة، ولكنها لم تعترض لعلّه

يكتشف كفاءتها بنفسه. حاولت التقرب منه

ففشلت وعندما قررت الابتعاد فشلت ايضاً

لأن قلبها رفض تنفيذ الاوامر.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

« ألا تتوقع قدومي يا سيد سيمونز ؟»

« لا ، اني آسف ، ليس بيننا موعد .»

« موعد !»

لقد قطعت نصف المسافة عبر العالم لتتسلم عملها ويدعي ماتيو بأنه لا يعلم بالامر .

« انني المساعد الاداري الجديد ، فالمكتب الرئيسي في نيويورك قد وظفني منذ ثلاثة اسابيع .»

تعاقبت على وجهه ملامح الدهشة والتكذيب والغضب معاً . « لا ، لست انت ... لا بد ان هناك خطأ .»

## سارا وود

ترعرعت سارا في بلدة بورتسماوث في جو من السعادة والاطمئنان. دفعها الفقر من العمل على الآلة الكاتبة الى امتانها وظيفة التعليم ثم انتقلت الى كتابة الروايات.

تعيش سارا حياة زوجية سعيدة ولديها شابان. وتستمد الهامها من الطبيعة التي تحيط بمنزلها فتعزلها عن كل الهموم والاحزان وتنصرف الى كتابة رواياتها بشوق واندفاع.



عبير ١١٢٥

*Abir 1125*

# لن تخدعني

*سارا وود*

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

## الفصل الاول

انهمكت جاكلين كثيراً بتهيئة حاجاتها خلال الاسابيع التي سبقت سفرها الى افريقيا ، فبدت كلعبة اوتوماتيكية تدور بجنون واضطراب وسط دوامة من نشاط متزايد . فلا بد لها من الحصول على تأشيرة الدخول اللازمة ، واجراء التلقيحات وشراء ما يلزم ، وحزم الحقائب ، وتوديع الاصدقاء .

استقرت جاكلين في الطائرة . وما من شيء امامها الا ان تأكل وتشرب وتنام . وفجأة اعتراها قلق غامض . مما لا شك فيه انها ارادت العودة الى غانا ولكن ترى هل ستصمد امام تحديات عملها الجديد ؟ وهل ادركت تماماً ما تزج نفسها به . فالعيش في بلد غريب بمفردها لكسب قوت يومها ، يختلف تماماً عن العيش فيه مع والديها .

وقعت جاكلين عقد عمل لمدة سنتين ، ولكنها لم تقابل بعد الرجل الذي ستعمل معه . نظرت من نافذة الطائرة المحلقة بمحاذاة الساحل الافريقي الغربي ، فرأت غابة استوائية خضراء . كانت الشمس تميل للمغيب مشبعة الدنيا بتألقها الذهبي ، ومتيحة للظلام ان يحل مكانها خلال دقائق . لم تستطع جاكلين ان تطرد افكارها المزعجة وقلقها . ترى هل بلغت ثقتها بنفسها مرحلة الغرور عندما قبلت عملها الجديد كمساعدة ادارية في شركة الانتاج الغذائي الدولي المحدودة ؟

اعادت في ذهنها كلمات كريسترفر جينكز رئيس الشركة الذي قال لها اثناء المقابلة التي جرت بينهما «انه عمل مزعج يا آنسة، اريد ان يكون الامر واضحاً.»

رنت هذه الكلمات في اذنيها كموجات من الفزع، فقالت لنفسها لا تكوني مضحكة، فهذا النوع من العمل لا يحتاج الا الى الثقة بالنفس، والاصرار، وبعض الخبرة. وهذا متوفر لديك.

كانت جاكلين تدرك بمرارة ان مظهرها لا يوحي بمنطلق ايجابي، ولهذا تملكها شعور طبيعي بعدم كفاءتها. كم تمنت لو ان مظهرها يتناسب مع اعوامها الثلاثة والعشرين، لكن الكثيرين يعتبرونها مجرد طالبة مدرسة سيما وان شعرها ذهبي مجعد وعينيها زرقاوان، وقامتها لا تتجاوز الخمسة اقدام وسنتمترين. لم يكن باليد حيلة الا اذا قيمها رئيسها الجديد كشخص فعال من دون النظر الى هذه الصفات الشكلية.

نظر جينكنز الى جاكلين عاقداً ما بين حاجبيه نظرة اقلقتها عندما استفسرت عن شخصية رئيسها الجديد ماتيو سيمونز وقال:

«انه قاس يا آنسة، مجد ومنكب على العمل، وسيتطلب منك بذل كل ذرة من امكاناتك.»

حسناً انها قاسية ايضاً، ومجدة ومحبة لعملها، فأهلاً وسهلاً بماتيو سيمونز هذا الذي سيتطلب منها تسخير كل امكاناتها.

شعرت جاكلين بيد السيدة تورنر التي كانت تجلس



الى جوارها، تلمس ذراعها، فنظرت الى عينيها الرماديتين الصافيتين. كانت السيدة تورنر مفعمة بالحنان والصداقة.

«تبدين متعبة يا عزيزتي.»

«اشعر بألم في رأسي سأرى ان كان لدى المضيفة بعض الاسبرين.» نهضت جاكلين من مكانها متخطية السيدة تورنر وزوجها الاشيب لتبحث عن المضيفة، فبدت الطائرة لها تالفة كركابها، اذ مضى على مكوثهم في داخلها عشر ساعات. تمدد معظم ركابها باسطين اقدامهم وايديهم بلا حيوية ولا نشاط. اخذت جاكلين الاسبرين من المضيفة وابتلعته مع قليل من الماء. ثم ناضلت وسط الزحام كي تعود الى مكانها، واخذت تفكر بما يجول في ذهن السيد والسيدة تورنر.

لمعت عينا السيد تورنر البنيتان بضحك قائلاً:

«سنصل بعد وقت قصير.»

كان السيد تورنر مزارعاً من مينسوتا اصطحب زوجته في هذه الرحلة التي تطلبت منهما شجاعة كبيرة، كي يشاهدا حفيدتهما المولودة في أكرا وما ان علما ان جاكلين امضت اعوامها الدراسية في افريقيا، حتى انهالا عليها بوابل من الاسئلة، عن الشعب والطعام ... والطقس ... وطرحا عليها بعض الاسئلة الشخصية فيما اذا لسعتها افعى مثلاً؟ او هل اصيبت بالملاريا؟ وكيف وصلت الى غانا اول مرة؟ وهل كان والدها موظفاً؟

«لا .. لا.» ضحكت جاكلين قائلة: «لقد

عمل والدي في شركة التنمية الدولية ... »
واخبرتهم الكثير عنها وعن عائلتها عندما سكنوا في سويسرا وتركيا وكم كانت تفكر في السفر عبر البحار متى نالت شهادتها . سألها السيد تورنر :
«ما طبيعة عملك في اكرا ؟ »
«سأعمل في شركة الانتاج الغذائي الدولي . انها شركة خاصة تساعد الدول في تنمية انتاجها الغذائي . »
وبما ان السيد تورنر كان مزارعاً ، فقد راق له الامر كثيراً ، وانهال عليها بوابل آخر من الاسئلة التي اجابته عليها على احسن وجه .
ساد صمت قصير بينهم ، كان الظلام قد حل على المدينة ، فلم تشاهد جاكلين سوى بعض الانوار المتلألئة هنا وهناك ، فتنفست الصعداء اذ كانت ترغب في الخروج من جو الطائرة الحار ، والمشبع برائحة الاطعمة والحليب الفاسد ، ورائحة التبغ والنايلون .
بدا هبوط الطائرة وشيكاً ، وأخذ الركاب ينهضون من سباتهم مما اضفى على جو الطائرة نشاطاً . ربطت احزمة الامان ، ووضعت الاشياء في حقائب اليد ، كما اخذ الاطفال يصرخون بانسجام مع بعضهم بعضاً ، عندما حاول اهلهم اعادتهم لمقاعدهم تحسباً لهبوط الطائرة .
وبدهشة كبيرة ، حدقت جاكلين من النافذة لترى اكرا تلألأ بأضواء مرصعة كالنجوم . انحنت السيدة تورنر ايضاً ، ثم ضحكت وهزت رأسها قائلة :



«يبدو ان اكرا مدينة حقيقية ، انني اشعر بالغباء اذ لم أتصورها الا مدينة ذات اكواخ من اللبن ، ومواطنات نصف عاريات ، وفيلة .
ضحكت جاكلين قائلة : «نعم هناك الكثير من الاكواخ المصنوعة من اللبن ، لكنك لن تشاهدي الفيلة الا في حديقة الحيوان .»
هبطت الطائرة اخيراً ، وبدا الجميع في هرج ومرج ، كل يريد ان يصارع الآخر ، ليشق طريقه خارجاً في اللحظة نفسها .
انحشر السيد والسيدة تورنر في الصف ، بينما جلست جاكلين في مقعدها تنتظر ريثما تهدأ الاحوال . وما ان خرجت من الطائرة حتى لفح وجهها الهواء الحار الرطب ، فعبست إذ لم تكن في حاجة لحمام بخاري في تلك اللحظة .
وصلت جاكلين الى قسم الجمارك فانتظرت دورها وعلى الرغم من ثيابها الملتصقة على جسمها من شدة تعرقها ، وحذائها الضيق ، اخذت تتساءل كيف ستتعرف على السيد ماتيو سيمونز من خلال اوصافه المذكورة ، رجل طويل ، ثلاثة وثلاثون عاماً ، شعره بني ، وعيناه عسليتان ، وملايين الرجال في العالم يتمتعون بهذه الاوصاف ولكن ليس هنا في اكرا .
تمكنت جاكلين اخيراً من سحب حقيبتها الى الصالة الرئيسية ، ولكنها لم تر احداً يشبه ولو بشكل طفيف الرجل الذي تبحث عنه . لا .. لا أحد . ولم تجد ايضاً أي أثر للسيد والسيدة تورنر إذ انها كانت آخر من هبط من الطائرة .

www.elromancia.com

وبخوف كبير اخذت جاكلين تفكر ما عساها ان تفعل لن تجد احداً في المكتب ، فالساعة تشير الى ما بعد التاسعة ليلاً ، وليس لديها أية فكرة عن عنوان السيد سيمونز . احتارت في أمرها وهي تفكر في غضب وتوتر ، واحتشد حولها الكثير من الشباب المراهقين يختصمون على حمل حقائبها . اتجهت جاكلين بقلق الى مكتب الاستعلامات ، فانزعجت الفتاة النائمة على يدها ذات الشعر الطويل وقالت :«نعم .»

«اسمي جاكلين دونلي وأود ان أستفسر ان كانت لي اية رسالة.»

«أية رسالة ؟»

تنهدت جاكلين شارحة الأمر للفتاة :

«لقد أتيت لتوي من نيويورك ، ولم اجداحداً بانتظاري فربما اجد لي رسالة لديك ؟ »

«لا شيء لدي . »

ابتعدت جاكلين عن المكتب ، واستقلت سيارة أجرة الى فندق الكونتينتال القريب من المطار . كانت متعبة وحانقة ولم تهتم للتكاليف ، فليدفعوا ما شاؤوا إذ انهم لم يتعاطفوا بارسال احد لاستقبالي.

في صباح اليوم التالي حاولت جاكلين الاتصال بالهاتف ، ولكن عبثاً فالخط معطل .

اهلاً وسهلاً بك في غانا. قالت هذا لنفسها ، ثم استرخت على السرير .

«اين هو ماتيو سيمونز هذا الذي يدعي انه في حاجة ماسة لمن يساعده ؟ »

بحثت جاكلين بين اوراقها عن العنوان ، فلم تجد الا



رقم صندوق البريد . لا بد ان تجد عنوان البيت او المكتب . لهذا حاولت جاهدة الحصول عليه عن طريق الاستعلامات فلم تفلح .

عضت جاكلين شفتها لتسيطر على غضبها المتصاعد هل هذا نذير شؤم يا ترى !

استغرق استفسارها عن طريق السفارة الاميركية ، وشركة التنمية الدولية ما يزيد عن الساعة . ولم تعثر على العنوان إلا بعد ان تأكدوا أنها ليست جاسوسة.

استقلت مرغمة على امرها سيارة أجرة سيئة من النوع الكلاسيكي .

كان حشو فراشها خارجاً منه ، ونوافذها الجانبية لا تفتح ، وسائقها يقود بجنون .

نظرت جاكلين بعينين ملؤهما الفضول الى شوارع أكرا النابضة بالحياة ، فوجدت الناس هنا وهناك واقفين غير آبهين لأشعة الشمس ، ولا لأصوات السيارات الصاخبة التي تصم الآذان .

تنفست جاكلين الصعداء عندما رأت البناء المؤلف من طابقين يحمل الاشارة الزرقاء ، فلم يكن من الصعب العثور عليه . ساعدها السائق في حمل حقائبها الى غرفة الانتظار ، ثم تناول منها النقود بتكشيرة عريضة .

نظرت جاكلين بدهشة الى فتاة يافعة جلست وأمامها الآلة الكاتبة ، كانت زينتها متقنة ، وتدلى من أذنيها قرطان ذهبيان . ابتسمت جاكلين وقالت لها :

«اريد ان اقابل السيد سيمونز من فضلك . اسمي جاكلين دونلي.»

www.elromancia.com

« لحظة اذا سمحت . » كان صوت الفتاة رقيقاً وخجولاً.

نهضت الفتاة مترنحة بزيها الغربي ، وبعد لحظة عادت لتقود جاكلين الى مكتب مكيف عبر رواق لا يوحي بالتطور العمراني.

جلس ماتيو سيمونز خلف مكتبه يوقع بسرعة بعض الاوراق . أمعنت جاكلين النظر به . شعره بني كثيف مجعد حول اذنيه ، يرتدي قميصاً ابيض بنصف كم وبلا ربطة عنق . رفع رأسه ووقف مصافحاً . كان طويلاً جداً شامخاً كالبرج امامها . حاجباه غريبان ولونه أسمر غامق يناسب رجلاً في حقل ذرة اكثر من موظف في مكتبه .

تساءلت جاكلين عندما قبض على يدها بشدة مصافحاً ، هل لهذا علاقة في تحديد شخصيته ؟

وسرعان ما دارت في مخيلتها كلمات رئيسها :

«انه قاس ، ومجد ومنكب على العمل .»

ليس في هذا من شك فها هو يبدو قاسياً فعلاً .

اصبح قلق جاكلين الغامض مرعباً عندما عرفته على نفسها ، ولم تلمع عيناه الداكنتان بأي بريق ، بل قدم لها ببرود كرسياً وقال : «تفضلي .»

جلس الى مكتبه ونظر اليها بلباقة وتجرد وقال:

«ماذا يسعني ان أفعل من اجلك يا آنسة دونلي ؟ »

فتحت جاكلين فمها ، ثم اغلقته بدهشة ، هل هو لا يعلم من تكون؟ثم اجابته : «الا تتوقع قدومي يا سيد سيمونز؟»

قطب جبينه ونظر الى مذكرته قائلاً :



«لا إني آسف ، ليس بيننا أي موعد . »

«موعد !»

لا بد ان هناك خطأ ما . لقد قطعت نصف المسافة عبر العالم لتتسلم عملها ، ويدعي ماتيو سيمونز بأنه لا يعلم بالامر . كانت جاكلين تتوقع لقاءً دافئاً وودياً على الاقل . انقلبت تساؤلاتها الى جنون انصب كالصخر في معدتها . ابتلعت لعابها وقالت :

«انني المساعد الاداري الجديد يا سيد سيمونز ، فالمكتب الرئيسي في نيويورك قد وظفني منذ ثلاثة اسابيع . »

اعقب كلام جاكلين صمت جليدي ، ثم نظرت الى ماتيو سيمونز بقلق وقد تعاقبت على وجهه ملامح الدهشة ، والتكذيب ، والغضب معاً . تقلصت عضلات وجهه وتطاير الشرر من عينيه .

«لا لست انت ... لا بد ان هناك خطأ ما ...»

انفجر صوته مبدداً الصمت ، فشعرت جاكلين وكأنها تلقت صفعة على وجهها . ماذا يعني ؟ عما يتكلم؟ حملقت في وجهه العاصف من دون ان تفهم شيئاً ...تنهدت وقالت له : «ماذا تعني «بخطأ» الست بحاجة الى مساعد إداري ؟ لقد وظفوني وها أنذا ...»

نظر اليها بحنق وقسوة وقال :

«لا أعلم أية نكتة هذه ...لم أتسلم اية رسالة او برقية تؤكد ما تقولين ...ولو كان لي علم مسبق بذلك ، لما سمحت لك بالقدوم ..لقد طلبت رجلاً على وجه التحديد . إنني ارفض ان تتسلمي هذا العمل .»

اسكتتها الصدمة ، ولم تفهم معنى كلماته ...انفجر

غضبها مزمجراً في اعماقها ، حتى غدا وجهها ساخناً واردفت : «هل لي ان اذكرك يا سيد سيمونز بأننا نعيش في القرن العشرين ، وانك مغالط في تعصبك .»

لم يأبه ماتيو لكلامها وتابع :

«أحب ان اذكرك ، انك هنا لست في الولايات المتحدة، بل في افريقيا . علي ان اتكيف مع الحقائق التي تفرضها الظروف والمكان .»

«وما هي هذه الظروف يا ترى ؟»

«لا استطيع ان اخبرك بذلك ، كان عليهم ان يقدروا هذه الامور قبل توظيفك . »

صمتت جاكلين غاضبة . من يعلم افضل منه ؟ عليه ان يدرس الحقائق قبل ان يقرر . انها واثقة من المكان والظروف ، ومتأكدة من ان هناك اشياء كثيرة لن تتحقق في مكانٍ يتعطل فيه الهاتف عن العمل ، ومن الصعب ايضا العثورعلى قطع تبديل للسياراتِ عندما يحتاجها المرء . كان النظام الاداري بطيئاً ومغايراً لما اعتادته في وطنها . ان المسألة هنا تكمن في ان يراعي الانسان مزاج الآخرين من دون ان يصاب بالاحباط . ومع ان الصبر ليس من شيم جاكلين ، الا انها تضع نفسها على المحك الآن ، فقد قاومت تصرف ماتيو سيمونز وحاولت عبثا ان تجد ما تقول ... لم يكن في جعبتها شيء . مضى وقت لا بأس به وكلاهما صامتان ، ثم نهض سيمونز ونادى : «سوزي . »

سمعت جاكلين وقع خطوات مسرعة في



الرواق ، وما لبثت الفتاة ان ظهرت بالباب قائلة :«نعم يا سيدي.»

«احضري لنا بعض القهوة . »

جلس ثانية وهو ينظر الى جاكلين . لم يكن رجلاً انيقاً ، لكن وجهه يوحي بالرجولة . فكرت جاكلين بمرارة ان هذا الرجل يريد ان يذلني .

«ماذا سأفعل بك الآن يا آنسة جاكلين ؟ »

أذهلتها نبرة صوته الا يعلم مع من يتكلم ؟ هل يظنها احدى المراهقات العنيدات ؟

«اقترح يا سيد سيمونز ان تنسى انني انثى ، وتدعني اتسلم عملي . »

حاولت ان تبدو هادئة كأي رجل من رجال الاعمال . رفع ماتيو احدِ حاجبيه ، وارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة قائلاً:«اعتقد انه من الصعب ان انسى انك انثى لأن ذلك واضح من أول نظرة . »

نظرت اليه ببرود وقالت : «اذا اعتقد ان عليك ان تتقبل هذا الواقع المر . أنا هنا ولدي رغبة صادقة في البقاءِ والعمل . »

«هكذا اذا ؟»

قرع الباب وحضرت القهوة . فقال ماتيو سيمونز :

«آسف فليس لدينا سكر . حتى ان السكر غير متوفر في المنطقة بأجمعها هذه الايام . »

نظرت جاكلين الى عينيه ، هل كان يتوقع منها ان تغضب وتصرخ مزمجرة لانها تستطيع ان تشرب قهوتها بلا سكر . حسنا ستدهشه الآن .

«اعتقد انني استطيع ان اتحمل هذه المعاناة . »

«سوف تحافظين على وزنك بهذه الطريقة.»
حملقت به من دون ان تجيب فسألها :
«حسناً متى وصلت ؟»
«الليلة الماضية .» احتست قليلاً من القهوة .
«آسف فلم يستقبلك احد ما .» وبدا جاداً فيما يقول وهز رأسه وتابع : «ان قدومك مفاجأة لنا واعجب لما حدث . كان عليهم ان يرسلوا برقية تشير الى وصولك. »
رفعت جاكلين كتفها وقالت :
«قد تكون البرقية موجودة في مكتب البريد ومهملة، كما يحدث في كثير من الاحيان . »
نظر اليها بحدة ... ثم امسك سماعة الهاتف وأعادها الى مكانها إذ كان الهاتف معطلاً وأردف :
«لقد قطعت سيارة جمع النفايات أثناء عملها خط الهاتف ، وسيستغرق اصلاحه عدة اسابيع . »
ثم فتح الباب ونادى سوزي، وطلب منها ان يذهب سامسون الى مكتب البريد مستفسراً عن البرقية ، وتابع حديثه مع جاكلين قائلاً :
«ماذا فعلت عندما لم تجدي أحداً في انتظارك ؟»
«ذهبت الى فندق الكونتنتال ... اخذت حماماً ونمت وهذا الصباح تناولت فطوري واقتفيت اثرك . »
نظرت اليه بتحد . ترى ماذا كان يتوقع منها ؟
«هل كان عنواننا لديك ؟»
«رقم صندوق البريد فقط ورقم الهاتف والآخر معطل.»
«هذا صحيح . »



حملق كل منهما في وجه الآخر وكأنهما يقيمان بعضهما بعضا . ثم سألها :«كيف عثرت على العنوان اذاً ؟»
«انهرت وبكيت حتى اتت جدتي الملهمة ، وارشدتني الى الطريق . »
«لما تسخرين يا آنسة دونلي ؟ »
انفجرت غاضبة اذ لم تستطع كبت خيبة أملها وقالت:
«لا ... هل تريدني ان اقفز فرحاً بعد ان قطعت نصف العالم لأحصل على عمل أرغب فيه . علمت انك تتوق لمن يساعدك ...وانظر كيف تتصرف ... استقبال رائع ... ترحيب دافىء وعلاوة على ذلك ، فاني لا اصلح للعمل لأنني امرأة . يبدو انك فوجئت لانني استطعت العثور عليك . »
«اهدأي ... اهدأي ... تعالي نحكم المنطق بيننا . »
صكت جاكلين اسنانها ونظرت اليه .
«حسناً هل لدي أوراق خاصة بك ؟ »
«لا ... اخبرني السيد جينكز انه سيرسلها لك مع نتيجة المقابلة التي جرت بيننا ، وجميع اوراقي الاخرى التي اعتقد انها لم تصلك بعد . »
تنهد قائلاً :« اين اختفت هذه الاوراق ؟ »
«ستظهر عاجلاً ام آجلاً ، هذا ما يحصل دائماً . »
احتسى ما تبقى من قهوته وقال :
«اعتقد انك من حملة الشهادات ؟ »
«ادارة اعمال . »
«وماذا كنت تفعلين قبل مجيئك الى هنا ؟»

«تخرجت لتوي . »

كان هذا جزءا من الحقيقة ، ولكنها لم تخبره بأنها عملت كمساعدة للمدير في دار العجزة ، وانها عملت عدة مرات في اشهر الصيف مع العمال المكسيكين المهاجرين في كاليفورنيا .

وعلى الرغم من ان تلك الاعمال اكسبتها خبرة ، الا انها كانت السبب في تأخر تخرجها عاماً كاملاً .

لن اخبره بشيء بل سأدعه يظن انني امرأة غير كفء للعمل . تابع ماتيو الحديث بعصبية قائلاً :

«لقد تخرجت لتوك اذاً ...معنى هذا انهم ارسلوا لي طالبة مدرسة . كان عليهم ان يدركوا هذا . »

شعرت جاكلين انها تغلي غضباً ، ولكنها اقنعت نفسها بأن تحتفظ بهدوئها وسألته ببرود :

«ماذا كان عليهم ان يدركوا يا سيد سيمونز ؟ »

«عليهم ان يدركوا ان الشهادة ليست كل شيء ، وان الخبرة ضرورة حتمية . يجلسون في مكاتبهم في الولايات المتحدة ، وينسون ان العمل في هذه البقاع امر مختلف تماماً ، ويتطلب مؤهلات مختلفة ايضاً.»

«هكذا اذاً !»

رفع احد حاجبيه بسخرية وقال :«هل تدركين ذلك؟»

نعم انها تدرك الامر تماماً ... لقد علمت انه حكم عليها من اول نظرة على انها خريجة جديدة ، شقراء غبية ... اذاً لن تنال منه الا المتاعب والازعاج ...انها تعلم بماذا يفكر .



«اسمعي يا آنسة دونلي ...لست مستعداً ان ادربك على العمل مدة ستة اشهر ، لتجدي بعدئذ انك لا تستطيعين الاستمرار به . انظري جيداً ، وادرسي الامر . هل سمعت شيئاً عما يسمونه بالصدمة الحضارية ؟ »

«اعتقد ذلك . »

«ان هذا العمل ليس بعمل عادي في ظروف عادية ... ولن تجدي بين دفتي الكتب المعلومات التي تفيدك . ان الزمن وحده كفيل بهذا وانني افتقر لهذا الوقت يا آنسة دونلي . »

علقت جاكلين قائلة : «الم يدرك السيد جينكز في نيويورك هذا ؟ »

عقد ما بين حاجبيه بغضب وقال :

«كان عليه ان يدرك ذلك . كنت واضحاً تماماً في تحديد نوعية الشخص الذي اريد .»

وبعصبية دفع بكرسيه ، ونهض واقفاً ، واتجه نحو النافذة. تأملت جاكلين منكبيه العريضين القويين وشعره الطويل المتدلي الى حافة ياقة القميص .

مضت لحظات ساد الصمت خلالها ، وجلس ماتيو سيمونز مرة اخرى الى مكتبه هادئاً ورابط الجأش وسأل جاكلين ببرود :«اخبريني رجاء كيف تم قبولك لهذا النوع من العمل ؟»

نهضت جاكلين وقدماها ترتجفان ، والدم يتدفق في رأسها . وودت لو تخبره بأنها ليست خريجة جديدة ، وانها عاشت هنا مع عائلتها ... ومارست اعمالاً اكسبتها خبرة ، ولكنه لم يسألها عن تلك الامور ، لهذا ابتسمت ابتسامة عذبة وفق

ما املته عليها الظروف وقالت : «لقد منحت العمل يا سيد سيمونز لانني رافقت الرئيس .»
أدارت جاكلين ظهرها ، وخرجت من الغرفة ثم اغلقت الباب وراءها بحذر .



## الفصل الثاني

مكثت جاكلين في الحمام عشر دقائق حاولت اثناءها ان تهدىء من روعها . بدا وجهها في المرآة شاحباً ، فلا عجب في ذلك بعد تلك الرحلة الشاقة ، والاستقبال السيىء الذي لاقته . رفعت شعرها الى الاعلى مبعدة بعض الخصلات عن عنقها ، ثم غسلت وجهها ، فالرطوبة مزعجة في شهر مارس مما يجعل الجو لا يطاق . وعلى الرغم من هذا فانها ما زالت تحب افريقيا ، وكثيرا ما حلمت بالعودة اليها لانها امضت فيها ثلاث سنوات دراسية كاملة. ما من شيء محدد على وجه الدقة يشدها الى غانا ، لكنه حنين ممزوج باشياء كثيرة . انها حرة وآمنة في شوارع غانا حتى ولو كانت وحدها ، واهل غانا ذوو سمعة حسنة. انها تحب نفسية نسائهم المرحة . يعيشون بسعادة ومرح على الرغم من ظروف حياتهم الفقيرة القاسية. كانت جاكلين تتمنى من اعماقها ان تعود الى افريقيا ، وان تخدمها بشيء له اهمية . فمن اين ظهر لها هذا الشاب المدعو سيمونز الذي يحاول ان يحطم آمالها ؟ نظرت مرة اخرى الى المرآة ، ثم شدت كتفيها مصممة على الا تدعه يفعل . ستبقى في افريقيا ، وستقوم بعملها من دون ان تأبه لرأيه . فتحت سوزي باب الحمام ، ونظرت الى جاكلين وقالت :
«ان السيد سيمونز يريدك . »
ضحكت جاكلين في سرها ، ان السيد سيمونز لا

يريدها ، ولكنه مرغم على ذلك شاء ام ابى .
دخلت جاكلين المكتب ، رأسها مرفوع ، ونظراتها باردة ومتجاهلة نظرات ماتيو سيمونز اليها . جلست وقالت :«يا سيد سيمونز اريد ان اعرف اين سأمكث، كي استقر وأباشر عملي . فقد اخبروني انك تهتم بأمور السكن . »
«هذا ما اردت ان احدثك عنه ، فلدينا مشكلة . »
«وما هي ؟»
«ان ميزانية اجور السكن لا تسمح هذه الايام بايجاد سكن ملائم، وخاصة بعد ارتفاع أجرة المنازل الى الضعف والضعفين وذلك لعدم توفرها . »
كانت نظراته تنم عن تحدٍ ، وحقدٍ وتأملاتٍ ثم اردف:
«وبمعنى آخر لن تجدي سكناً مناسباً . هل هذا مفهوم؟ »
«نعم مفهوم . »
اذا كان هذا الشاب يستفزني ليثير جنوني ، فعليه ان ينتظر مدة اطول .
سألته : «اذاً وماذا تقترح ؟ »
«الحقيقة أود لو اعيدك الى وطنك على متن الطائرة التالية . »
«لن تستطيع طردي ، الا اذا خفقت في اداء عملي على الوجه اللائق . وانني اخطط لأن اقوم به بشكل يفوق الاتقان .»
«إذن سأمنحك فرصة لنرى امكاناتك يا آنسة دونلي ما دمت هنا، ومصممة على العمل معي . ولكنني احذرك ، عليك ان تتقني عملك فليس لدي الوقت



لهدره ، ولا الرغبة في تدريبك ...إنني في حاجة للمساعدة ، فإن لم تتمكني من ذلك ، فسأطردك فوراً.»
تجاهلت جاكلين تهديده وعادت لتسأله :
«وماذا عن السكن ؟ »
تنهد وسكت لبرهة ثم قال :
«يمكنك ان تشغلي جناح الضيوف في منزلي إذا وافقت على ذلك... إنه قسم مستقل عن المنزل ، وله مدخل خاص ، وغرفة نوم وغرفة استقبال وحمام . اما المطبخ فستشاركينني اياه . »
«هل لدي مجال للاختيار . »
«كلا . الا اذا دفعت ثلاثمئة وخمسيناً من مالك الخاص ، وهذا المبلغ كبير بالنسبة لما تتقاضينه .» طبعاً انها لا تستطيع دفع ذلك المبلغ ، ولكن كيف ستعيش في المكان نفسه ، ومع رجل تكرهه . ليس باليد حيلة الآن . اجابته : «لا اعلم بالضبط ماذا افعل ، دعني ارى المنزل . »
كان المنزل قريباً من المكتب ، عبارة عن فيللا ذات شرف واسعة، محاطة بحديقة بحاجة الى عناية . اما ارضية الغرف فكانت من الخشب ، والمراوح تتدلى من السقف ، وجميع النوافذ محاطة بمناخل واقية من الحشرات الطائرة .
«هذا هو مسكنك .» قال سيمونزا هذا ، وهو يفتح باب غرفة الجلوس والطعام .
وجدت جاكلين نفسها في غرفة صغيرة ذات ابواب زجاجية تفتح على الشرفة . شاهدت غرفة النوم

والحمام ، فوجدتهما مقبولتين على الرغم من صغر المساحة . تابع سيمونز قائلاً : «لم يستعمل هذا القسم على الاطلاق ، استعملت إحدى غرف النوم في المنزل من اجل الضيوف ... »وفتح النوافذ ، فامتزج النسيم مع رائحة الغرف المفعمة بالعفن .

«ان المنزل في حاجة الى بعض التحسينات . »

«هذا واضح يجب ان نبدأ بعملية الدهان اولاً . ان حالة المنزل سيئة ، ولهذا استأجرته بثمن زهيد ، كان عليك ان ترى المطبخ قبل اصلاحه .» ثم اقترب منها ، ونظر اليها بتحدٍ وقال :«ماذا قررت ؟ »

«حسناً لا بأس به . ان كل ما اريده ، ان يكون لي مكان خاص بي.»

«سأريك المطبخ واعرفك على كريسي .»

بدا كريسي كلاعب ملاكمة اكثر منه كخادم . كان يحرك الحساء في وعاء على النار . وما ان رأى جاكلين حتى حياها بضحكة ودية عريضة ، ومد يده مصافحا : «اهلاً وسهلاً . »

غدت ابتسامة كريسي اعمق بينما كان ماتيو ينظر اليها بتهكم بالغ وتابع : «يجب ان تتعلمي لغة البلاد مع العلم ان اللغة الرسمية هي الانكليزية . »

تجاهلت جاكلين تعليقه ونظرت الى الوعاء ، فوجدت حساء النخيل ممزوجاً بالبهارات. وبينما كان ماتيو سيمونز يقود جاكلين خارج المطبخ الى الغرفة الرئيسية قال :

«ان كريسي يقوم بطهي الطعام وتنظيف المنزل،انني اعطيه النقود ، وهو يقرر ما يطعمني ، انه يطبخ



كأهل غانا ، واذا اردت ان تعلميه الطبخ على طراز آخر فيا حبذا . »

حمل كريسي حقائب جاكلين الى غرفة الجلوس فتبعاه . اشار سيمونز الى حفرة في الجدار وقال :

«آسف ، ان جهاز التكييف لا يعمل . وعندما يتم اصلاحه ، بإمكانك وضعه في غرفة النوم . لكن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً كالعادة هنا . ليس لدي مكيف آخر لتقديمه لك ، لأن الثاني يتم اصلاحه ايضاً .»

علت وجهه مسحة من الاحباط . بينما عضت جاكلين شفتها ، لتكبح جماح الضحك . واذا كان ماتيو نفسه لا يتحمل ظروف الحياة القاسية في افريقيا ، فكيف بجاكلين وهي امرأة . لن يغيب عن مخيلته افتقارهم للسكر ، ولعجلات السيارات ، وقطع التبديل بمختلف انواعها او اختفاء سفن الشحن التي وصلت الى شنغهاي او التي بقيت في الميناء لعدة اشهر . لن يستطيع كل غربي ان يتلاءم مع هذا النوع من الاحباط .

«علي ان أعود بسرعة الى المكتب ، فلدي موعد . سأعود بعد ساعة لأتناول الغداء ، إلى اللقاء . »

جلست جاكلين على السرير محتارة في امرها . هل تفك امتعتها، ام تنتظر لتنتقل الى منزلها . ستلقي نظرة اخرى على المكان . خرجت من الغرفة فوجدت كريسي في طريقها فسألها :

«هل تريدين قهوة ام ماء معدنية ؟ »

«اي شيء بارد من فضلك . ماء .»

«إننا لا نغلي الماء هنا يا سيدتي . »

«حسناً يا كريسي ، ان ماء اكرا نظيف . »
«هذا ما يظنه سيدي . ولكن السيدة تغليه لمدة خمس عشرة دقيقة.» لم تعلم جاكلين فيما اذا كان ماتيو سيمونز متزوجاً أم لا ، فسألت كريسي :
«هل تقصد السيدة مونزا ؟»
هز كريسي كتفيه وقال : «لا اعلم ان كانت زوجته ام لا . »
إذا كان ماتيو سيمونز متزوجاً ، فماذا ستظن زوجته بها ، اذا وجدتها تقطن غرف الضيوف ؟
«اليست السيدة سيمونز هنا ؟ »
هز رأسه وأجاب :
«لا انها في الولايات المتحدة على ما اعتقد . »
لم ترغب جاكلين في ان تسأل كريسي اية اسئلة اخرى . ستكشف ذلك بنفسها . لا لن تمكث في هذا المنزل فربما اعترضت سيدة المنزل على وجودها .»
اخذت جاكلين كوب الماء من كريسي ، والقت نظرة حذرة على المنزل . سيحسن الدهان وضع المنزل .
لكنها شعرت بالراحة عندما وجدت مياه الحمام تجري ، ولفت انتباهها سرب من النمل . فالحشرات موجودة في كل مكان حتى في الحمام المهمل. حشرات صغيرة لا تؤذي احدا ، ولكنها تجتمع اسرابا اذا شعرت بوجود ذرة خبز صغيرة . بدت الارض الخشبية مهملة تماما . لا بأس سيتم اصلاح الامر بقليل من الشمع . سرت جاكلين بمنظر الشرفة إذ ازدانت بنبات البوغنفلية الاميركي المتعرش ببراعمه الحمراء والصفراء ، ونخيل جوز الهند الضخم موزعا



على نحو غريب . والى اليمين رأت منزل الخدم المغطى بنبات البوغنفليه . ستصبح الشرفة ملائمة للجلوس بقليل من النباتات والكراسي الجدد .
عاد ماتيو سيمونز بعد ساعة ، فتناولا طعام الغداء المكون من البيض وشرائح الاناناس .
ارتبكت جاكلين وقالت :
«انه لطف كبير منك يا سيد سيمونز تدعوني الى السكن هنا. ولكن ما رأي السيدة في مشاركتي هذا المنزل ! أعني هل توافق على اقامتي هنا ، وعلى مشاركتي لها المطبخ . »
اجاب ماتيو ببساطة :
«تقصدين دايانا ، إنها ليست زوجتي . »
وضعت جاكلين في فمها قطعة اناناس ، ورفعت رأسها لتجده ينظر اليها قائلاً : «قد تظنين انك شخص قوي ... ولكني اريد ان احذرك . ان الاقامة في هذا البلد ،تحتاج الى المزيد من قدرة التحمل .اياك ان تظني انك اتيت الى هنا لقضاء اجازة . »
ثم دفع كرسيه الى الخلف ، ونهض ، فتبعته جاكلين وقالت بنبرة ملؤها التصميم :
«لم احضر الى هنا لقضاء اجازة . »
«ليتك لم تأتي . اذ عليك التكيف مع عمل صعب وظروف قاسية ، وهذا ما لا اتوقعه منك ، او من اية خريجة جديدة . »
ازعجها تهديده ، فنظرت الى عينيه بضراوة . انه يقيمها كشقراء غبية . تمنت في تلك اللحظة ان تكون سمراء طويلة ، وان يتناسب شكلها مع عمرها ،

كيلا تضطر ان تحترم هذا المغرور العملاق والمتحيز للرجال . وتابعت بثبات وبرود :

«ان ثقتك بي تسحقني . »

التقت عيونهما لبرهة ، فابتسم وهو ينظر اليها ، فلاحظت ان الابتسامة قد اضفت رقة على وجهه ، حتى ظنت انها تنظر الى رجل غيره وقال مجيباً :

«طبعاً ، قلما اخطأ حدسي . »

«تماماً . »

اجابت وهي تبتسم بدورها . قاد ماتيو سيمونز جاكلين الى المكتب لتتعرف على بقية الموظفين فيه . تعرفت على سوزي سكرتيرة الاستقبال ، ثم على سامسون مراسل المكتب . كان سامسون يافعا ونحيلاً جداً ، حاول ان يشعرها بأهميته عندما صافحها ، ولكن تكشيرته الرخيصة افسدت الموقف.

«ان سامسون شاب طيب ، يريد ان يؤثر في الناس لكنه لا يعرف كيف يحقق ذلك .»

ضحكت جاكلين معلقة :«لاحظت ذلك . »

عرفها ماتيو ايضاً على المحاسب السيد اسانتي . كان اسانتي رجلاً متقدماً في السن قصيراً ، ذا شعر رمادي عند الصدغين ، يضع نظارة سوداء اعطته طابع الرجل الافريقي العجوز المصور في قصص الاطفال .

«اما أوفاري ولواني فهما غير موجودين الآن ، ويعملان كمساعدين للمدراء في المشاريع ، ويأتيان للمدينة مرة أو مرتين في الاسبوع . ستقابلينهما فيما بعد.» ثم قرع باباً آخر ودخل قائلاً :



«هذا هو ستيفن، يدي اليمنى في المسائل الزراعية. انظر يا ستيفن هذه هي المفاجأة التي قدمها لنا الرئيس : جاكلين دونلي ، مساعدتنا الادارية الجديدة. »

علق ستيفن قائلاً : «اهلاً وسهلاً ، إنني سعيد بلقائك، واتمنى ان نكو اصدقاء حتى ولو شاهدت تقاري النفقات التي اجريها . »

تأوه ماتيو قائلاً :«ان تقاريره مروعة ، فهو على علم بكل ما يتعلق بالماعز ، ولكنه لا يستطيع ان يضيف حقلاً من الارقام مرتين بالطريقة نفسها .»

عبس ستيفن لهذا التعليق ونظر الى جاكلين قائلاً :

«انه لا يحبني، ولكنه لا يستطيع الاستغناء عني.»

اجابته ضاحكة:«لقد سمعت ذلك . »

وتذكرت مديح جينكنز لستيفن وقالت :

«ولكنك يا سيد ستيفن تتمتع بسمعة حسنة ، وسمعتك تملأ الدنيا . »

رفع ماتيو نظره نحو السماء بخيبة امل وقال متسائلاً:« لم تقولين هذا جاكلين ؟ كفاه اعتداداً بنفسه . »

ثم قادها خارج الغرفة ، وهما يسمعان قهقهة ستيفن العالية تملأ الرواق .

«يبدو ان ستيفن شخص لطيف . »

«من الدرجة الاولى وفي كل المجالات ، وعامل مجد ايضاً . »

«لقد اخبرني جيكنز بذلك . »

رماها بنظرة مفعمة بالتهكم قائلاً :

«لن اسألك ماذا اخبرك عني ...»

«خرافات، ليس الا خرافات ...»

رفع احد حاجبيه وقال :

«اهذا كل ما في الامر ؟ انني اتساءل لماذا فعل ذلك.»

ضحكت جاكلين وقالت :

«لأن الحقيقة مؤلمة احياناً ، ومحفوفة بالمخاطر .»

«محفوفة بالمخاطر ؟ »

«اجل لو انهم قالوا الحقيقة ، لما وجدوا من يجرؤ على القدوم الى هنا ، ولو كانت خريجة جديدة غبية مثلي . »

«انه لمن السيء جداً انك تصدقين القصص الخيالي.»

كان ماثيو سيمونز مشغولاً . فغاب عن المكتب طوال فترة بعد الظهر . تحدثت جاكلين قليلاً مع سوزي وسامسون إذ اصبحت مسؤولة عن تنظيم اعمالهما وفقاً لعملها الجديد .

شغل مكتب جاكلين الصغير حيزاً من صالة الاستقبال التي اتسعت ايضا لمقاعد الموظفين . بدت الغرفة بدهانها الاخضر الفاتح ، وستائرها ذات الالوان الباهتة المطبعة على الطراز الافريقي مهملة ومتسخة. وضعت جاكلين كرسيها مقابل النافذة علها تبتهج بمنظر الورود . كما ادخل سامسون الى الغرفة صندوق كتب خشبياً ، ومروحة ، وكرسياً مما ساعد على تنسيق الغرفة . قررت جاكلين ايضاً ان تحسن من منظر الغرفة قبل ان تكتسب هي نفسها اوصاف



الغرفة من غبار، وتلف ، وذبول . تفحصت جاكلين المكتب ، فوجدت اكداساً من الموضوعات الزراعية المنوعة المهملة ، فقررت إعادة تنسيقها لان سوزي لا تستطيع القيام بهذه المهمة . وبمزيد من الجد والنشاط والتصميم ، باشرت جاكلين عملها لتثبت فعاليتها ووجودها . وسرعان ما راودت جاكلين بعض الافكار المزعجة :

ترى هل هي فعلاً تتحدى صعوبات العمل الجديد ، ام انها تتحدى ماتيو سيمونز نفسه ؟

وفي الامسية نفسها تناولا العشاء معاً ، وبدا سيمونز مسروراً عندما قدمت له جاكلين حساء النخيل ، وقطع لحم الجدي المقلية.

«انتبهي انها حارة جداً اذ ان كريسي يكثر الفلفل الاحمر. »

«سأنتبه . حاضر يا سيد سيمونز . »

«لا داعي ان تناديني بهذه الصفة الرسمية . ما رأيك بماتيو فقط؟ »

«سأجرب ، ان كنت مصراً على هذا . »

«نعم انا مصر على ذلك يا جاكي . »

انزعجت جاكلين واجابته بحدة :

«جاكلين من فضلك . »

انها لن تسمح لهذا المغرور الغريب ان يناديها جاكي كما يفعل اصدقاؤها .

«جاكلين اليس كذلك ؟ »

احرق الطعام بلعومها ، ولكنها كانت معتادة على ذلك ، وتظاهرت بانها لم تشعر بماتيو سيمونز

وهو يراقبها اثناء الطعام . كانت تحب طعام غانا الحار عندما كانت صغيرة . وحين كانت طالبة في المدرسة، كثيراً ما كانت تشتري مع صديقاتها قطع اللحم من الحوانيت الموجودة على قارعة الطريق . لقد ذاقت كل انواع الطعام بما فيه الافاعي، مما جعل والدتها تموت فزعاً فلربما التقطت جاكلين بعض الجراثيم التي تسبب الزهار وتؤدي للموت . ولحسن الحظ لم يصب جاكلين اي ضرر حتى ولو كان عسر هضم خفيف . كان ينظر اليها عندما انهت طعامها وقالت بلهجة دفاعية :

«يا له من طعام لذيذ . لقد استمتعت به . »

«ستندمين غداً على ما اكلته الآن لانه سيسبب لك بعض الضيق.»

«لا تقلق فلدي معدة كالحديد . »

«اذاً انت صلبة من جميع النواحي .»

هزت جاكلين رأسها مجيبة :

«من يدري ، ربما كنت اصلب كي اتلاءم مع غانا .»

استاءت جاكلين من العداء الذي اخذ ينمو في اعماقها. لم ترغب في ان تكون الخلافات الشخصية بداية للعلاقة بينهما . وكأنه قرأ افكارها سألها :

«هل هناك من شيء ؟ »

«لا . اشعر بتعب ، وسأنام باكراً . »

في صباح اليوم التالي ، استيقظت جاكلين على صوت الدجاج والبط . بدا ما حولها غريباً للوهلة الاولى ، ولكن شعورها الضئيل بالألفة تجاه هذه الاصوات الغريبة ، جعلها تدرك انها ليست في عالم



جديد . كما ان ضوء النهار الوهاج في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح ادهشها . حركت المروحة الهواء الداخلي الممزوج بالرطوبة والحر محاولة ان تلطف جو الغرفة ما امكن . تذكرت انها غانا ، فاعترتها موجة الفرح والسرور .

جلست في الغرفة تنظر الى الستائر المتمايلة مع النسيم ، فسمعت صوت احدى النساء تتكلم لغة لم تفهمها ، فنهضت ونظرت من النافذة . رأت فتاة صغيرة تملأ دلوها من صنبور الماء قرب جناح الخدم . وفي ظل شجرة المانغا جلست امرأة عارية الاكتاف ، مغطاة بقماش ملون من صدرها الى اخمص قدميها ، تحرك طعاماً وضعته على موقد الفحم ، والى جانبها طفل يزحف وسط الاقذار الحمراء، ويلعب بثمرة المانغا القاسية .

هذه عائلة كريسي على ما اظن . بكى الطفل فتركت امه عملها، ووضعته في حضنها ، ثم اخرجت ثديها ، فجذبه الطفل بيديه الصغيرتين ، وبدأ ينهل من لبنها.

راقبت جاكلين هذا المشهد لمدة . ثم ابتعدت عن النافذة والسعادة تغمرها لانها عادت الى غانا ، كم كانت سعيدة وهي تستقبل هذا اليوم . استحمت وارتدت قميصاً قطنياً وصندلاً من الجلد . رفعت شعرها الى الاعلى ، ونظراً لشدة الحر ، فكرت في ان تجعله قصيراً قبل مجيئها ، ولكن الشجاعة خذلتها إذ سيستغرق بعدئذ اعواماً ليعود طويلاً .

وجدت جاكلين كريسي في المطبخ يحضر طعام

الافطار ، فحيته تحية الصباح وسألته :
«هل الطفل الصغير والفتاة من عائلتك ؟ »
اجابها بفخر واعتزاز :
«نعم . ولدي ولد آخر في القرية مع جدته لأمه . »
«اين قريتك ؟ »
«في مانكسيم انها على الطريق الى ساحل الكيب . »
دردشت جاكلين معه قليلاً ثم تركته ليجهز وجبة الافطار . خرجت الى الشرفة التي اضفت على الغرفة نوراً ، وتساءلت وهي تنظر الى الجذوع الضخمة ، ان كان هناك بستاني يعتني بالحديقة ام لا ... يجب ان تشذب هذه الاشجار . وسرعان ما خطفت بصرها حركة تمساحين صغيرين يتسابقان عبر الشرفة، ويقفزان تحت الجذوع .
«تماماً كالغابة اليس كذلك ؟ »همس ماتيو من خلفها كان انيقاً مرتدياً قميصاً ابيض وبنطالاً فضفاضاً .
«الى حد ما . لكنني احب النباتات الخضراء . »
«حسناً لن تفتقدي هذا . فالبستاني هنا يعتني بالحديقة مرة او مرتين في الاسبوع ، ولكنه غائب منذ شهر . كان عليه ان يعود الى قريته لان جده مريض ، ولا احد يعلم متى سيعود . »
«يوجد هنا الكثير من اشجار الموز . »
«نعم ... ولكن احذري ان تأكلي من تلك الاشجار على الضفاف . فتلك ليست بأشجار الموز . »
كانت تلك الاشجار فعلاً شبيهة بالموز ، فإن لم تكن كذلك ، فلا بد ان لها اسماً آخر .
«انها موز الجنة . »



قالت بلهجة ايجابية خالية من الاستفهام .
فسألها ونظراته تفضح دهشته الكبيرة :
«وكيف عرفت ذلك ؟ »
هزت كتفيها وقالت :
«اعلم اشياء كثيرة اخرى . »
« نعم، هذا صحيح.»
«الا يجب ان اعلم ؟ لقد تخرجت لتوي من الكلية . »
ثم دخلت لتساعد كريسي تاركة اياه وحيداً على الشرفة . كان ماتيو بارداً ومهذباً اثناء تناول وجبة الافطار . وما ان انهيا طعامهما ، حتى غادرا المنزل الى المكتب في تمام الساعة السابعة .
«من الافضل ان نبدأ عملنا باكراً . فلدي الكثير ، وعلي ان احدد اعمالك وانظمها . »
لم تدرك في اليوم السابق ان مكتبه كغرفتها بالية وتالفة ، والعمال ضجرون من مكيف الهواء الذي لا يعمل .
حدثها ماتيو كأي رجل اعمال آخر ، اراها تقارير ولوائح وملفات، شارحاً الاعمال الداخلية للمكتب .
«انت مسؤولة يا جاكلين عن هيئة النسخ وسيعمل معك سوزي وسامسون كما اخبرتك امس . ستهتمين ايضاً بجدول الرواتب والحسابات ، والتقارير المالية فعليك ان تتبعي خطة معينة لذلك . »
«نعم ادرك هذا . » اجابته وهي تنظر الى الاوراق المكدسة امامه.
«ليس لدي وقت ، ولا احب معاقبة احد . اما المصنفات فعليك الاهتمام بها ايضاً . »

«اخبرتني سوزي انها تهتم بالمصنفات لهذا سأطلب منها مساعدتي لأراهم . »

«نعم . انها تعلم موضع كل ورقة ، وتجدها اينما صنفت ، ولا احد غيرها يستطيع ذلك . »

«وماذا عن ا لسيارات ؟ اخبروني انها تحتاج لجهد كبير كي تصلح للاستعمال . »

«انني مسرور ان القي على عاتقك هذه المهمة ايضاً فلدينا نقص في القطع ، كما ان القطع الموجودة ليست مثبتة بشكل جيد مما يجعل السيارة تتعطل دوماً في اماكن غير مناسبة . »

تداولا في جميع الاحاديث الخاصة بالعمل ، من الصناعة المصرفية والاعمال الزراعية الى تصليح السيارات . وما ان حان وقت الغداء حتى شعرت جاكلين بارهاق عام ، واحست بانها لا تستطيع هضم المعلومات جميعها في لحظة واحدة .

وفي البيت ، تناولا طعام الغداء المعد من شطائر السمك وسلطة الفاكهة . شعرت جاكلين انها لا تقوى حتى على مضغ الطعام .

كان الجو شديد الرطوبة أشبه بحمام بخار على الطراز التركي ، انسدلت بعض خصلات شعرها الرطب ، فجمعتها خلف اذنيها . نظر اليها عن كثب وقال: «سأكون مشغولاً هذا المساء ، فلدي موعد مع شركة التطوير الدولية . فما رأيك ان تبقي في المنزل لتنالي قسطاً من النوم؟»

«يا لها من فكرة رائعة ... سأفعل ذلك حتماً . »

صباح الخميس سلمها ماتيو مجموعة وثائق . نظرت



جاكلين الى الاوراق التي في يدها ظناً منها انها وثائق شحن معينة .

«ما هذه ؟ »

«انها معدات من اجل مشروع الارز . جاهزه في المطار وعلينا ان نتسلمها . »

«حسنا سأجلبها . »

«ليس الامر بهذه السهولة ... يجب ان تذهبي فوراً ، والا لن تنهي العمل قبل الغداء اياك ان تدفعي قرشا ، فهذه البضاعة لا تخضع للضرائب.. هل تعتقدين انه بامكانك القيام بهذا العمل ؟»

ادركت جاكلين فوراً ما عناه . سيهزأ بها رجال الجمارك ، وسيعاملونها كغبية شقراء . انها الفرصة الاولى لها لاثبات ذاتها. اجابته ببرود :

«لا ارى مانعاً في ذلك . »

«شيء آخر اريد ان اضيفه ، ان المال في هذا البلد يصنع العجائب، فاياك ان تدفعي ولو مبلغاً ضئيلاً مهما كانت الظروف ، حتى لو اضطررت للمشاحنة معهم ، واضرام النار على رؤوسهم . هل هذا واضح تماما ؟»

بسطت منكبيها وحدقت فيه . الا يعلم انها لا تحبذ الرشوة .

«لا تخشى على قيمي الاخلاقية ، فقد تأكدوا منها في نيويورك.»

«حسنا . »

لم تكن المهمة سهلة ، فعلى المرء ان يكون صبوراً وباردا كي يخلص البضاعة من مبنى الشحن . تنقلت

جاكلين من مكتب لآخر، وملأت ووقعت خمس عشرة استمارة. انتظرت طويلاً وهي تتأمل الجدران القذرة والمصنفات المغبرة الموضوعة في الزوايا. كان احد الموظفين نائماً فوق آلته الكاتبة. تمنت جاكلين ان تحذو حذوه فالحرارة والهواء الراكد استنفدا كل طاقاتها. شعرت بالضجر من هذا الروتين لانه مضيعة للوقت. لن تخبر ماتيو بهذا ما دام الحل واحد ولا بد ان يختبرها. مضى اكثر من ساعتين تمكنت جاكلين بعدها من الوصول الى مكتب الجمارك، حياها الموظف مبتسماً، وساعدها في فتح علب الكرتون.

« اجهزة صناعية ؟ »

«نعم .»

«من اجل طاحونة الارز .» ختم الموظف الاوراق وسلمها العلب. غمرتها لذة الانتصار وهي في طريق عودتها الى المكتب متسائلة: ماذا سيقول سيمونز! قرعت باب مكتبه ودخلت واضعة العلب على المكتب.

«ها هي البضاعة، لم يصبها اي ضرر على ما اعتقد.»

نظر ماتيو الى البضاعة، ثم الى جاكلين، ثم الى البضاعة، وقال بدهشة :

«اذاً استطعت تخليصها .»

«طبعاً .» اذا كان ماتيو يمتحنها، فقد نجحت في ذلك وستستمر.

«الم تواجهي بعض الصعوبات ؟ »



«دبرت اموري . لماذا ؟»

«لانهم مشهورون بذلك .» اجابها وهو يفتح العلب. توقع ماتيو ان تعود جاكلين متذمرة وشاكية كغيرها من الموظفين، شارحة له الامر بأكمله. لا لن تفعل هذا، ولن ترضي غروره. سألته :

«هل من شيء آخر ؟ »

«لا ... حان وقت الغداء فهل انت مستعدة ؟ »

ذهبت جاكلين بعد الغداء الى السوق، تبحث عن ادوات للمكتب. لم تتغير المدينة كثيراً لهذا استطاعت ان تجد طريقها بسهولة.

وفي مخزن الكينكزوي التقت جاكلين مصادفة وجهاً لوجه مع السيد والسيدة تورنر ومعهما ليزا زوجة ابنهما. وبعد ترحاب حار ذهب الجميع الى مقصف المخزن حيث تناولوا شراباً بارداً. كانت ليزا فتاة جميلة شعرها اسود قصير لامع، وعيناها براقتان محاطتان بنظارات عريضة جداً. قبلت جاكلين بسرور عظيم دعوتهم الى العشاء يوم السبت المقبل. اذ كانت ترغب من اعماقها ان تتعرف على ليزا. انه لمن السهل ان يبني الانسان علاقات ودية في بلد يعج بالاجانب. لقد انتقل معظم معارف جاكلين من جالية المغتربين الى اماكن اخرى، فمن عادتهم الا يستقروا في مكان واحد اكثر من عدة اعوام. انتقلت جاكلين الى شقتها مساء يوم الجمعة ورائحة الدهان والشمع لم تزل عابقة. اخذ كريسي على عاتقه اصلاح الشقة خلال يومين بتعاونه مع رفاقه. كما وضع النجار اطارات جديدة للمناخل. دهشت جاكلين

لسرعة انجاز العمل . لم يكن الطلاء متقناً تماماً ، ولكن لا بأس به ما دام قد اضفى على الغرفة حلة بيضاء جميلة ، واعطى الارض لمعاناً وبريقاً . ذهبت صباح يوم السبت لشراء ما يلزمها من سوق ماكولا اكبر سوق في وسط المدينة . وكثيراً ما كانت تمضي فيه ساعات طويلة تبحث عن خرز او اقمشة لخياطة فستان لها . شعرت جاكلين بالعرق يتصبب من جسمها اذ كانت الشمس حارة ، والسوق محتشداً وعابقاً بالحرارة . وجموع الناس تحاول ان تتمشى بين الاكشاك ، والنساء بحمولتهن الثقيلة على رؤوسهن يستعملن اكواعهن كمقود لفسح الطريق خلال الممرات الضيقة . سحرها المنظر فتأملته بعينين فضوليتين . عرضت البضائع على الارصفة كي يتم تفتيشها بما فيها من سلاسل ، وادوات من الفخار ، وخرز وأدوية طبية . كما رتبت الخضراوات بشكل أنيق من بندورة وفليفلة حرة ، وبامية . اما اللحم فلم يثر شهية جاكلين على الرغم من انواعه واشكاله . تنقلت جاكلين بين الاكشاك لتشتري قماشاً يصلح لصنع الستائر . كانت الاقمشة بالوانها الزاهية المطبعة على الطريقة الافريقية مكدسة ، او معلقة بشكل انيق على حوامل للعرض .

اخيراً ، عثرت جاكلين على ما يناسبها من قماش الستائر . سارت خلفها حاشية من بنات صغيرات يحملن القماش الى ان استقرت في سيارة اجرة اقلتها الى منزلها . خرج كريسي ليساعدها في حمل الاغراض ، بينما بقي ماتيو امام الباب ينظر اليها



بعصبية معلقاً :«آمل الا تكوني قد ارتكبت خطأ ما ؟»

«خطأ ! خطأ ؟»

وبصبر نافد أشار الى السلاسل والقماش والاواني :

«لو كنت مكانك لما انفقت اموالي هباء ، فقد لا تعوضينها ...هل تعلمين هذا ؟ »

خفق قلب جاكلين لدى سماعها كلماته ، فعضت على شفتها غضباً ، لماذا يعكر مزاجها كلما كانت تتمتع بروح معنوية عالية ؟ شعرت بانها متعبة واضطرمت نار الغضب في صدرها وقالت : «لا بأس . اعتقد انك لم تلاحظ بانني مصرة على الاستقرار هنا ، والاستمرار في العمل سواء راق لك هذا ام لا .»

اجابها ببرود :

«لاحظت ذلك ، ولكنني اريد ان تدركي انني لم اقرر بعد منحك العمل ، والاجدر بك ان تأخذي ذلك بعين الاعتبار ، وتوفري على نفسك عبء التجوال . »

ثم انصرف مغادراً المنزل . كانت جاكلين مسرورة لانها ستغادر المنزل في المساء لتغير من طريقة معيشتها . دعاها كريسي لتناول الغداء الذي لم تشعر انها في حاجة اليه كيلا تجلس مع ماتيو ، وتجاذبه اطراف الحديث .

« كريسي . »

«نعم يا سيدتي . »

«هل يضايقك أن تحضر لي طبقاً من سلطة الفواكه ، وكوب ماء الى هنا ؟ »

«حاضر يا سيدتي . هل انت بخير ؟ »

«انني متعبة يا كريسي هذا كل ما في الامر . »

استراحت جاكلين في غرفتها بعد ان استحمت ، وشعرت بالانتعاش الذي لن يدوم طويلاً ، اذ لن يلبث العرق ان يتصبب منها خلال دقائق لانها لا تملك مكيف هواء في غرفتها .

تناولت ما احضره كريسي ، ثم استلقت على سريرها بصحبة أحد الكتب ، وما لبثت ان نامت طوال فترة بعد الظهر كالمنهكين. اتى ابن السيد تورنر في السابعة والنصف مساء ، ليصطحب جاكلين لانها لا تعرف العنوان . ارتدت ثوباً قطنياً طويلاً ، ازرق واخضر ، ورفعت شعرها الى الاعلى ، لكنها لم تنجح في رفع خصلات شعرها التي تدلت خلف اذنيها .

وبينما كانت تنتعل حذاءها سمعت طرقاً خفيفاً على الباب ، واذ بماتيو مرتدياً بنطال جينز وقميصاً . قال بسخرية رافعاً احد حاجبيه :

«هناك شخص يدعى جون تورنر ينتظرك في غرفة الجلوس . هل تريدين ان احضره الى هنا ؟»

«لا اشكرك . انني جاهزة . »

وبعد محاكمة عقلية ، قررت ان تطلب من زوارها القدوم الى مدخل البيت الامامي الخاص بها . وضع ماتيو يديه في جيبيه، اتكأ الى الباب ، وغمرها بنظرة ملؤها الاعجاب وقال :

«تبدين سيدة تماماً .»

تجاهلت تعليقه ، وأخذت حقيبة يدها .

«من فضلك ، اريد ان اخرج .» أردفت عندما لم يفسح لها في المجال. ثم أفسح لها الطريق قائلاً :

«مع انك ما زلت صغيرة ، لم تحتاجي وقتاً



طويلاً للتأرجح على حبال الهواء .»

ايقظت كلماته الغضب في اعماقها ، فأطبقت أسنانها حانقة . لماذا لا يتركها وشأنها . تخطته وهي تحملق في وجهه ثم قالت ببرود :

«هذه ميزة كوني شقراء غبية ، ليس لدي وقت للملل.»

مال برأسه الى الخلف ، وانفجر ضاحكاً .

كان جون تورنر انيقاً جداً كأولئك الرجال الذين يظهرون في الاعلانات لعرض الازياء الخاصة بالرجال . كانت اسنانه بيضاء ، شعره مصففاً بشكل دقيق . فلا عجب ان يفكر ماتيو بأن جون صيد فاخر. ولكن جاكلين ضحكت في سرها لأن جون ليس هو النوع المفضل لديها . اتجها الى السيارة ، فتح جون الباب لجاكلين ، واتخذ كل منهما مكانه. قال مبتسماً:«اخبرني والدي كل شيء عنك ، من الممتع ان يجد الانسان من يتكلم معه على متن الطائرة اذ ان الرحلة مملة ! اليس كذلك ؟»

«ليست ممتعة . »

«اننا نعيش في شمال لا بون هل تعرفينها ؟ »

«اجل ! عشت مع والدي في كانتونمينتز عند طرف شمال لابون.»

كان منزل عائلة تورنر واسعاً ، وجميلاً ، ومكيفاً مما سر جاكلين كثيراً . والبرودة منعشة تتنافى مع الحر الخارجي ، وتشجع على تناول وجبة لذيذة حارة .

استقبل الجميع جاكلين بترحاب . وبدأ السيد والسيدة تورنر يقصان عليها ما جرى معهما خلال الايام

الفائتة غير آبهين من سيبدأ قصته اولاً ومن سيتابع. مما جعل المواضيع مبهمة . فانفجرت ليزا ضاحكة ، وهز جون رأسه قائلاً :

«اعتقد انهما استمتعا بوقتهما حتى الآن ، فما اخبارك انت جاكلين ؟»

اجل ما اخبارها هي ؟ لم تتمتع بشيء بعد ، وليست متحمسة كثيراً بسبب رئيسها الجديد . طبعاً لا تستطيع اخبارهم بهذه التفاصيل ، لهذا ضحكت قائلة :

«انني مسرورة لأنني عدت الى غانا ، ولكن حدث التباس عند وصولي ، وغدا الامر على ما يرام بعدئذ، وسأنكب على عملي الجديد .»

اجابها جون :

«لا ترهقي نفسك به خاصة في هذا الطقس السيء .»

توجه الجميع بعدئذ الى غرفة الطعام عندما اعلنت المضيفة ان طعام العشاء جاهز .

«يا له من طعام لذيذ لا شك انك ذهبت الى توغو .»

تذكرت رحلات امها القصيرة عبر الحدود الى مدينة توغو حيث كانت تجلب كل ما يتخيله المرء من اشياء مستوردة من فرنسا بما فيها مياه الشرب . ضحكت ليزا :

«وكيف عرفت انني اذهب الى هناك ؟ هل تودين الذهاب معي في المرة المقبلة ؟»

تخيلت جاكلين ما قد يقوله ماتيو فيما لو طلبت منه يوم اجازة لتذهب الى توغو .

«ارغب في ذلك ، ولكنني لن اتمكن من الذهاب في



هذه الفترة لانني بدأت العمل لتوي ، ولا اظن ان رئيسي سيوافق على منحي اجازة . »

«لقد نسيت انني فتاة عاملة . اخبريني ان كنت بحاجة لشيء ما، وسأحضره لك بكل سرور . »

امضت جاكلين امسية رائعة بينهم ، شعرت وكأن سحابة من الهم انقشعت عنها ، فها هي تتنفس بارتياح وسعادة . اعادها جون الى منزلها في مساء تلك الليلة ، فاستقبلها الحارس وفتح لهما البوابة .

«شكراً لك يا جون ، لقد امضيت امسية رائعة . »

«اهلاً وسهلاً بك، ها قد عرفت العنوان ، تعالي متى شئت . تعالي اثناء النهار لتشاهدي ابنتنا الجميلة الصلعاء . »

«يا لها من طفلة مسكينة .» ضحكت جاكلين وهي تخرج من السيارة ، عمرها ستة اشهر ، ولا شعر لها . ثم تمنيا لبعضهما ليلة سعيدة ، وقاد سيارته عائداً الى منزله . ما ان وصلت جاكلين الى المنزل ، حتى رأت بابها الامامي الخاص مفتوحاً على مصراعيه، ولاح خيال ماتيو الطويل نتيجة الاضواء المنبعثة من غرفة جلوسها . سحقها غضب عنيف . ان هذا منزلها فلماذا يقف ماتيو في غرفتها ؟

## الفصل الثالث

لم يتفوه ماتيو بكلمة عندما دخلت جاكلين الغرفة ، وانتظر لتبدأ هي بالحديث .
حدقت به غاضبة وقالت :«ماذا تفعل هنا في شقتي؟»
«لا شيء ، القي نظرة . »
«تلقي نظرة ، ومن سمح لك ان تتطفل على شقتي ؟ »
«اتطفل . من قال هذا ؟ »
«انا ! »
خرجت جاكلين الى غرفة الجلوس بسرعة ، فدخل وراءها واغلق الباب . اقلقها صوت صادر من الحمام، فتجمدت في وسط الغرفة . سمعت من خلال الباب المغلق صوت مذيع رياضي ، فنظرت اليه مرتبكة :
« ما هذا ؟»
«صوت المذياع ينقل احداث مباراة الملاكمة . »
اشارت جاكلين الى الحمام .
«من هناك ؟ »
«كريسي . »
«ما رأيك ان تخبرني بما حدث . »
«لم تعطني فرصة لذلك . »
فتحت باب الحمام ، فرأت الماء يتدفق في كل مكان، وقد وقف كريسي في الوسط ببنطاله المكفوف ، يحاول ان يجفف الماء بالممسحة والسطل . كان الراديو الصغير موضوعاً على خزان الماء ينقل أخبار



المباراة بحرارة . امعنت جاكلين النظر للحظة ، ثم اغلقت الباب ، وعادت الى غرفة الجلوس حيث جلس ماتيو يراقبها بنظرات ساخرة وأردف :
«بعد ان رأيت ما حدث ، فهل تسامحينني لأنني وطأت غرفتك ؟ »
هزت جاكلين رأسها وسألته عما حدث فأجابها:
«لقد انفجر احد الانابيب . اكتشف احد العمال ذلك اثناء تجواله اذ كانت نافذة الحمام مفتوحة ، فسمع صوت الماء يتدفق . وبما انه يعلم انك لست موجودة، قصدني وأخبرني بالامر ، لعلك تخمنين ما جرى بعد ذلك . »
«اعتقد انني لا استطيع استعمال الحمام الآن.»
«ان هذا يتوقف على سرعتك في اصلاحه . سأعطيك عنوان المصلح يوم الاثنين . اعتقد انك تستطيعين حل هذه الكارثة على احسن وجه . »
«اشكرك .»
«انه جزء من عملك اللامع . »
«انني ادرك ذلك تماما. »
«لم يعد لي حاجة للبقاء هنا . »
نهض ومشى باتجاه الباب المشترك وأردف :
«على فكرة عندما تتصلين بالمصلح دعيه يأتي الى المكتب لاصلاح صنبور الماء . كما يمكنك ان تتابعي مهمتك وتعرفي ما حل بأمر الهاتف والمكيف معا . سأعطيك التفاصيل يوم الاثنين.»
وقبل ان تجد الجواب الملائم اغلق الباب . رمت جاكلين حذاءها بتعب ، وسرت بجسمها موجة وهن

عارمة . لقد حدثت لها اشياء كثيرة في الايام الاخيرة. اخذت تجمع الحوادث مع بعضها بعضاً... قدومها الى غانا ولا احد في استقبالها .. استقبال في المكتب بلا ترحاب ... علاقتها مع ماتيو المؤدية الى كارثة . بدا لها ان كل اعمال المكتب لا فائدة مرجوة منها . كانت لياليها حارة وغير مريحة ، ونومها سيء ، وفي الصباح كانت تستيقظ والعرق يتصبب منها وتبقى متعبة .

دخل كريسي غرفة الجلوس ضاحكاً حاملاً الممسحة والسطل والراديو الصغير ، ومبللاً وقال :

«انتهى الآن ، كان هناك الكثير من المياه . »

«اشكرك كثيراً يا كريسي . آسفة لازعاجك في وقت راحتك . »

«لا بأس احضرت المذياع معي لاستمع الى الملاكمة وانا اعمل . »

«انني سعيدة لانك استمتعت بها ! من الفائز ؟ »

«بويزون . انني افضله عن الآخرين . »

«عظيم . »

اتجه كريسي نحو الباب فسألته جاكلين :

«هل تعرف خياطة قريبة . لقد اشتريت بعض الاقمشة لاصنع ستائر ، وافتش عمن يخيطها لي . »

ضحك بفخر وقال :

«ان زوجتي تخيط الثياب والاشياء الاخرى ، لديها آلة خياطة تستطيع ان تخيط لك الستائر. سأخبرها بالامر . »

«رائع ، سأكلمها غداً هل ستكون في المنزل ؟ »



«انها تذهب الى السوق في الصباح ، ثم تعود الى المنزل . »

«اذا اتفقنا . اشكرك . »

«آه صحيح ، لقد قطع السيد سيمونز الماء عن الحمام. فالافضل ان تستعملي الحمام الآخر . »

«تصبح على خير . »

في صباح اليوم التالي ، شعرت بتحسن ، واعدت لنفسها قطعة من الخبز ، وفنجان من الشاي، وخرجت الى الشرفة . كان الوقت باكراً حوالى السادسة صباحاً، واكرا تنعم بهدوئها ، فما زال الناس نائمين اذ لم تسمع أي صوت من جيرانها . تجولت دجاجة وفراخها في الحديقة تنبش الارض هنا وهناك بحثاً عن الطعام . غط عصفور أسود كبير بصدره الابيض على شريط الكهرباء في سكون ، رشفت جاكلين الشاي ببطء متمتعة بجو الصباح الباكر . ماذا تفعل في يوم الاحد هذا ؟ هل تكتب رسائل ام تقرأ كتاباً ما ، ام تفصل الستائر ؟ لو كان لديها مزهرية لقطعت بعض اغصان البوغنفيلية وزينت الغرفة . استرخت في كرسيها . ما اجمل ان تقضي يوماً هادئاً بعيداً عن ذاك المكتب غير المنظم العشوائي . وبعيداً عن ماتيو نفسه . ليتها تستطيع الابتعاد عنه في المنزل. كان من الصعب عليها الا تفكر فيه حتى ولو لم يكن معها ، ولا تستطيع تجاهله عندما يكون موجوداً. انه يفرض نفسه اينما وجد وكأنه يشع نوراً من كهرباء لا يمكن تجاهله . تنهدت وأغمضت عينيها. بدأ العالم يستيقظ رويداً رويداً . حلقت طائرة في

السماء فأصغت جاكلين الى صوتها حتى اختفى.
طفل يبكي ، اصوات تأتي من جناح الخدم ، وبعضهم يضحك ، سمعت صوت ماء يتدفق ، وأصوات الاباريق والمقالي . لقد ابتدأ النهار .
استغرق تفصيل الستائر وقتاً اطول مما توقعت . ولم تنته الا بعد الظهر . مشت جاكلين باتجاه منزل كريسي المبني من الاسمنت ، وقد حملت القماش على ذراعها . كانت ايفلين زوجة كريسي جالسة على الشرفة ، تدق بعض حبات البطاطا . والى جانبها صديقتها التي كانت تساعدها بحركات سريعة تنم عن خبرة كبيرة . كانت السيدتان ترتديان قماشاً ملوناً يتدلى من الصدر حتى الكاحل . وعندما شاهدتا جاكلين ، توقفتا عن العمل ونظرتا اليها بحياء . قالت جاكلين :
«اعتقد انه لا يوجد لديك مانع من ان تخيطي لي هذه الستائر ، لقد فصلتها .»
هزت ايفلين رأسها وقالت :
«اخبرني كريسي ... نعم استطيع .» اخذت ايفلين القماش من جاكلين :«انه قماش جميل . هل وجدته في السوق ؟ »
«نعم . لقد اشتريته امس . متى احصل عليها ؟ »
«غداً على ما اظن . »
«كم سأدفع لك ؟ »
اتفقتا على السعر ثم عادت جاكلين الى بيتها بينما انهمكت النساء في تحضير الطعام.
تسلمت جاكلين الستائر في الموعد المحدد . واضفت



رونقاً وجمالاً على الشقة ، واعطتها طابعاً منزلياً اليفاً . حملت الاسابيع التالية معها تباشير جديدة. فقد استبدل أنبوب الماء ، وأصلح الهاتف ، وأعيد تركيب مكيف الهواء . كل ذلك خلال عشرة ايام . ادهش ذلك جاكلين لانها لم تتأمل بأن ينجز العمل بهذه الفاعلية . لقد حققته بنفس مشرقة واصرار . اذ كانت تذهب كل يوم مرة او مرات لترى العمال ، فتارة تضحك معهم ، وتارة تثقل عليهم بالنكات ، حتى اضطروا الى ان ينهوا عملهم ليتخلصوا منها .
سألها ماتيو وهو يتفحصها عن كثب :
«كيف أنجزت هذه الأعمال كلها وبهذه السرعة ؟»
«لا تقلق لم أدفع قرشاً .»
«ماذا فعلت اذاً، هل اغويتهم ؟»
اذا اراد ان يكون وقحاً ، فستحذو حذوه ، نظرت اليه ببراءة وعينين محدقتين وأجابته :
«وهل هناك طريقة أخرى.»
عملت جاكلين في الشهر التالي بنشاط لترتيب اعمالها،وتنظيم المصنفات . ولاحظت وهي تعمل مع سوزي ان عليها الأخذ بزمام المبادرة والبدء بتبويب المواد . لم تستمتع بهذا العمل الذي استغرق وقتاً كبيراً لتصنيف الأوراق المكدسة في الخزائن يعلوها الغبار، والتي حفظ معظمها كمراجع . تنهدت جاكلين اخيراً ، وهي سعيدة ، لأنها تعلمت بعض الاشياء ، كتخزين الذرة، واطعام الدجاج ، وزراعة الفول السوداني .
في احدى الليالي قاربت جاكلين على انهاء العمل،

بعد ان عملت بجد الى ساعة متأخرة من الليل من دون ان تشعر بمرور الوقت . كانت اشبه بآلة اوتوماتيكية تعمل بلذة روتينية اذ كانت هذه هي الطريقة المثلى التي تمكنها من انجاز العمل . وفجأة قطع صمت المكتب الهادىء صوت الباب الأمامي يغلق بعنف ، وظهر ماتيو بقامته الطويلة واقفاً على العتبة ، نظيفاً وأنيقاً وما زال شعره نديا ، مما يدل على انه قد أخذ دوشاً لتوه .

أدركت جاكلين فوراً انها تجلس وسط الأوراق المتراكمة التي تعلوها الغبار ، والاوساخ والرطوبة الشديدة ، وقد جف حلقها وأنفها من رائحة الغبار المتناثر اثناء تبويب الصفحات وترتيبها . حدق في وجهها بدهشة قائلاً :

«تساءلت اين ذهبت . الا تظنين انك تعملين كثيراً ، فالساعة قد تجاوزت السابعة مساء ؟»

شعرت جاكلين بالدم يغلي في عروقها فأجابته ببرود :

«لا تقلقِ ! لن اطالبك بأي أجر أضافي . »

«حسناً لماذا لا تؤجلين العمل الى الغد ، وتعودين للمنزل لنأكل شيئاً ؟ »

«لست جاهزة الآن . بامكانك ان تخبر كريسي بذلك . سأعد شيئاً لنفسي عندما أعود .»

«ان كريسي في اجازة اليوم . »

«اجل نسيت ذلك . »

«لا تعملي بهذه الطريقة .» كان صوته يشوبه القلق المفاجىء «يجب ان تنالي قسطاً من الراحة ، فاذا



استمريت بالعمل على هذه الطريقة في هذا الطقس السيء ، فانك لن تصمدي كثيراً . »

شدت على قبضة يديها ، لماذا لا يدعها وشأنها . انها تستطيع الاهتمام بنفسها . ليست في حاجة الى تدخله الدائم .

«سأعتني بنفسي اشكرك ! »

زادت ملامحه قسوة ووميض بريق في عينيه وقال :

«اذا كنت تعتقدين انك تعملين بهذه الطريقة للتأثير علي، فانك مخطئة تماماً . ليست هذه طريقة ناجحة.»

ساد بينهما صمت مشحون بالكهرباء . لم تحد بصرها عنه . كان فمه قاسياً ومحدداً .

«حسناً ، افعلي ما يحلو لك .» ثم خرج من المكتب صافقاً الباب وراءه . لقد رحل . ها هي سيارته قد انطلقت .

عرفت جاكلين ما كان يدور في ذهنه ... لماذا اهتم بها ... كلما انهارت بسرعة ، كلما تخلص منها بوقت أسرع . عاد كل شيء من حولها الى هدوئه . تأملت الاوراق امامها . كانت عيناها تحرقانها ، كما شعرت بجوع وعطش شديدين . ترى هل ظن ماتيو انها ستأتي الى المنزل لتحضر طعامه اثناء غياب كريسي ؟ يا لحظك السيء يا أخي ... حضر طعامك بنفسك . قطع مجيء ماتيو الى المكتب تسلسل عمل جاكلين ، حاولت بعدها العودة الى العمل فلم تفلح، تركت الأوراق جانباً ، وغادرت المكتب متجهة الى المنزل بعد ان أحست بالجوع والحر والاتساخ . نظرت

الى نفسها في مرآة الحمام ، وبدا وجهها رمادياً من أثر الغبار . أخذت دوشاً ، وارتدت ملابس نظيفة ، ثم اتجهت نحو المطبخ لتأكل . كانت غرفة الجلوس خالية ، ولم تتوقع ان تجد الثلاجة مليئة بأنواع كثيرة من الطعام ( بيض مقلي بالبصل والبندورة ، وشرحة من الافوكادو ، وسلطة الفاكهة ).

تيقنت الآن ان ماتيو حضر الطعام على أمل ان تشاركه . ولما لم تحضر ذهب ليتفقدها . داهمها شعور بالذنب . جلست الى المائدة تأكل نصيبها من الطعام . اجتمع سرب من النمل على فتاة الطعام الذي تركه ماتيو ، وأخذ يلتهم ما حوله بنشاط مذهل. نظرت جاكلين في أرجاء الغرفة الخالية ، وشعرت بوحدة قاتلة...الى متى سيستمر ازعاج كل منهما للآخر .

في صباح اليوم التالي ، قدم كريسي طعام الافطار، ووجهه ينم عن كآبة كأنما اعترته مصيبة ، نظر ماتيو اليها متسائلاً ترى ماذا اصابه؟ فهزت جاكلين كتفيها مشيرة ان لا فكرة لديها عما اعتراه .

«من فضلك ، لم يعد لدي صابون لغسيل الاطباق .» قال كريسي وهو يرفع الاطباق عن المائدة .

«لقد فتشت جميع الأسواق بما فيها سوق ماكولا ولكن عبثاً . وجربت مسحوق الغسيل لكنه ليس جيداً للأطباق . وأريد ان احتفظ بما تبقى منه لغسيل الثياب . »

رشف ماتيو ما تبقى من قهوته ونظر الى جاكلين قائلاً :



«ان هذا من اختصاصك . »

«لم يدرج هذا في جدول أعمالي . »

«أعلم انه لا علاقة لعملك بهذا . ولكن الأمر يتعلق بالتحدي اليومي للحياة في ارض النخيل . كما لاحظت ان هذه المشكلة ذات حجم عظيم ، ولكن خريجة جديدة مثلك قادرة على معالجتها . »

لماذا يعاملها بهذه الطريقة طوال الوقت ؟ بامكانها وبكل سرور ان تخنقه لغروره وتصرفاته الوقحة .

ضحك وهو يمسك بحقيبته :

«سأراك في المكتب . »

بقيت جاكلين مع كريسي ينظر اليها ، متوقعاً منها ان تصنع العجائب بلا شك . لم تكن المشكلة جديدة، حاولت ان تتذكر ماذا يفعل الآخرون في مثل هذه الحالة . استعرضت شريط ذاكرتها حتى وجدت الحل.

«هل عندنا أي نوع من الصابون يا كريسي ؟ »

اومأ برأسه وذهب الى غرفة المؤونة ، وعاد يحمل برميلاً من مادة صفراء أميل الى اللون البني . كان نوعاً من الصابون المصنوع محلياً المستعمل لجميع الاغراض .

«سنحتاج الى نصف هذه الكمية المبشورة ، وسنضيف اليها بعض الليمون ، لنحصل على سائل مدهش من الدرجة الاولى .»

أعطته بعض التعليمات ، نظرت الى وجهه المفعم بالشك وذهبت الى المكتب . عادت جاكلين من عملها، فوجدت البخار يتصاعد من السطل الذي أعده

كريسي. وضعت الصابون المبشور مع قطع الليمون وعصيره ، وبدأت بتحريكه وهو تهتف :

«سنحصل على هذا السائل الذهبي . »

كان كريسي ينظر اليها بعينين ملؤهما الحيرة . دخل ماتيو المطبخ ونظر بدهشة الى جاكلين ، ثم الى كريسي ، ثم الى البخار المتصاعد وقال :

«هل لي ان اعرف ماذا تصنعان ؟ »

نظرت جاكلين اليه باستعلاء وأجابت :

«نصنع سائلاً لتنظيف الأطباق . »

«حسنا ، امرأة ذات مواهب مختلفة . »

«بالتأكيد . »

نظر ماتيو الى السطل الذي يغلي وسألها مكشراً :

«هل هذا ما تسمينه سائل الجلي ؟ »

سرّ كريسي لأن ماتيو شاركه في عدم الثقة والحماسة لما تصنعه جاكلين .

«من اين حصلت على هذه الوصفة ؟» شعرت جاكلين من صوت ماتيو انه لا يسخر منها هذه المرة فبادلته الابتسامة .

«وجدته في كتاب التعاويذ الخاص بذلك . »

«هذا ما كنت اخشاه . »

تابعت جاكلين مبتسمة تحريك المزيج قبل ان تتركه ليبرد ، وهي تفكر ان الابتسامة في عيني ماتيو اضفت عليه جمالاً . تعجبت من المعارك المحتدمة بينهما ، اذ ما تلبث الرقة التي ترفرف عليهما لبرهة ان تنقلب الى عداء عظيم . لم يكن على جاكلين ان تتدبر أمر الصابون فحسب ، بل عليها تدبير



أمور أخرى . فما زالت احدى السيارات معطلة منذ أسبوعين لنقص في احد اجزائها غير المتوفرة ، ونتيجة لذلك فقد تعطلت أمور المكتب ، مما أدى الى نفاد صبر ماتيو وزاد من عصبيته . رأت جاكلين ان تذهب الى توغو لتحضر قطع السيارة من لوما. وعندما ناقشت الأمر مع ماتيو ، قطب جبينه مما أوحى لها انه يرفض اقتراحها .

«يجب ان أذهب بنفسي . ان المشاحنة مميتة ، ولا استطيع ان ابدأ بالشرح . »

«اذاً لا تفعل . سأجد ذلك بنفسي . هذا هو عملي وسأقوم به . »

«هل انت متأكدة من انك تريدين المحاولة . »

«بالتأكيد . »

«حسناً . كيف لغتك الفرنسية ؟ »

«لا بأس بها . ليست كما يجب . »

«تحتاجين الى تأشيرة دخول الى توغو لأن لوما على الحدود تماماً ، كما انك في حاجة الى تصريح للعودة الى غانا ، وشهادة قيادة دولية . »

استغرق الحديث اكثر من نصف ساعة لمناقشة بقية التفاصيل ، ثم رسم ماتيو خريطة لوما عاصمة توغو المؤلفة من عدة شوارع رئيسية . أما البنك ووكلاء السيارة فقد اشتركوا في بناء واحد .

تأكدت جاكلين من انه أصبح يثق قليلاً بامكاناتها، ولذلك عهد اليها بهذه المهمة . ربما كانت لديها خبرة ما ... لا كما حكم عليها مسبقاً . ترى ألم يخطر بباله ذلك ؟

خابرت جاكلين ليزا فور وصولها الى مكتبها قائلة:«سأذهب الى لوما من اجل العمل . هل تريدين ان تأتي معي لشراء بعض المأكولات ؟ »

«طبعاً سآتي . وسأترك طفلتي عند غلاديس. هل ستعودين في اليوم نفسه ؟ »

«نعم سأشتري قطع غيار لاحدى سياراتنا ، وبعض الاغراض الخاصة بي . اني أتوق شوقاً الى قطعة من الجبن . »

«وتفاح . »

«وخضار . »

«اعرف مطعماً فرنسياً يقدم حساء البصل سنذهب اليه . آه كم أنا جائعة . »

«اذاً ستكونين القائد لأنني لا اتذكر الطريق كثيراً ، فقد كنت اذهب مع والدتي . »

أمضت جاكلين اسبوعاً تؤمن الاوراق اللازمة . ذهبت كالساعي من البنك الى شركة التأمين ، ثم الى مكتب الشهادات ثم الى سفارة توغو ، ووزارة الداخلية. انتظرت كثيراً هناك ثم أخبرت بأن تعود خلال يومين. اخيراً تم كل شيء ، واصبحت جاكلين جاهزة للسفر.

بدأ الليل ينجلي ، وغادرت جاكلين المنزل صباحاً في الساعة الخامسة والنصف . كان الفجر الرمادي يهيمن بهدوء على الاشجار والابنية ، وما لبثت الشمس ان أشرقت في الساعة السادسة . وبزغ نهار جديد . لم تكن وحيدة على الطريق فهناك الكثير من المارة المسرعين . كان حراس الليل يتمشون بثيابهم



الزرقاء او البيضاء الطويلة ، يغدون الى منازلهم او يروحون الى اعمالهم . كانت ليزا تنتظرها وسرعان ما خرجتا من المدينة باتجاه الشرق . لم تكن الطرقات مزدحمة فتمتعتا بمنظر الريف الهادىء ، والعديم اللون نظراً لاختفاء بريق الشمس . أحضرت ليزا معها ترموس قهوة حارة ومكثفة ، وبعض البسكوت المغذي اللذيذ . مرت بالقرب منهما شاحنة ما لبثت ان تجاوزتهما وهي تهتز وترتجف . كانت محملة بالمسافرين الذين تمسكوا بحرص بالمقاعد الخشبية الموجودة في مؤخرتها .

انه لمن الجنون المطلق ان يقطع المرء هذه المسافة للذهاب الى المجمع الاستهلاكي . الا ان كثيراً من المغتربين كانوا يتوقون الى شراء ما اعتادو عليه في ديارهم . اذ كان التكيف مع ظروف معيشية أخرى امراً صعباً بل مستحيلاً . تذكرت ما قاله ماتيو عن دايانا ، عادت الى الوطن لأنها لم تستطع تحمل الحرارة والمشاحنات .

فهل يهم المرأة اذا أحبت رجلاً أن توفر الاشياء الكمالية التي اعتادت عليها في وطنها ؟ فالحب، والصداقة ، والاهتمام الحقيقي تعويض لكل ما ينقص المرء . ولكن ما مدى العلاقة بين دايانا وماتيو ؟ قطعت ليزا أفكار جاكلين سائلة :

« تبدين جدية للغاية . ما الأمر ؟ »

«لا ابداً كنت افكر ... اخبريني يا ليزا هل تعرفين خطيبة ماتيو؟ »

«تقصدين دايانا ... نعم كلنا نعرفها . كانت عارضة

أزياء طويلة جداً شمطاء ... او بالاحرى كتلة من شعر احمر ، مثيرة ...عادت الى الوطن منذ امد قصير. أليس كذلك ؟»

«نعم لم تستطع العيش هنا. ولهذا يعتقد ماتيو ان هذا البلد لا يناسب المرأة ، فهو يقاومني ويريد رجلا مكاني لهذا العمل . »

«افهم ما تقصدينه . »

أرادت جاكلين ان تثق بأي شخص ، وان يكون لها صديقة ، وهي تحب ليزا . ثم اردفت ليزا :

«ماتيو يشعر بالمرارة لأن ديانا رفضت البقاء معه . وهو ينتقم منك لأنك امرأة . ولكن ما علاقتك انت اذا لم تستطع دايانا التكيف مع الضغوط ؟ »

«شيء من هذا القبيل . »

«انه من السخف ان يظن انك لا تستطيعين القيام بالعمل . ان هذا البلد يعج بالنساء العاملات الناجحات في السفارات وهيئة الأمم وحتماً ستنجحين انت ايضاً . »

«اعلم هذا ولكن ماتيو لا يقتنع بذلك . وكأني عثرة في طريقه . انه يخذلني معظم الوقت محاولاً ان يهددني ويخيفني . فكيف يمكنني العمل مع هذا الشخص ؟ آسفة يا ليزا كان علي ألا أقول شيئا ويجب ألا أقول شيئاً ، ويجب الا اتحدث عن رئيسي ، آنسي ما قلت .»

«بالتأكيد . انك في حاجة لأن تفصحي عما في نفسك. كلنا في حاجة الى ذلك أحياناً لا تقلقي لن اتفوه بكلمة فأنا كالبئر العميق.»

نمت بعض حشائش السافانا بين القرى ، بينما



كانت النباتات الاخرى قليلة ويابسة لذا كان المنظر عارياً وفارغاً . وكلما اقتربتا من الحدود ، كلما زاد الاخضر حيث ظهرت اشجار جوز الهند ، كما لاحت مياه المحيط المتلألئة من بعيد . وصلت جاكلين وليزا الى الفاو بعد الثامنة صباحاً . كانت مدينة الحدود مفعمة بالنشاط والحيوية كأنها أحد الاسواق التجارية . وامتلأت الاكشاك بالبضائع التي يندر وجودها في باقي المدينة .

وصلتا بناء الجمارك الواقع على الطرف الايمن من الشاطىء ، فنزلت ليزا من اجل الجوازات والتصاريح وأوراق أخرى . بينما مكثت جاكلين في السيارة تستمتع بمنظر مياه المحيط الاطلنطي التي تتلألأ تحت اشعة الشمس ، والتي تتقاذفها الامواج فوق الشاطىء الرملي . وتستنشق رائحة الماء المالح الممزوجة برائحة السمك .

تمنت جاكلين ان تعود ليزا بسرعة . فقد غدت السيارة عابقة ، ودخل الذباب اليها بشكل لا يحتمل ، ولا تملك شيئاً لتقضي عليه. عرضت عليها فتاتان صغيرتان ان تشتري من سلتيهما المليئتان بالجزر والموز والأناناس. لا انها تريد فقط شراء أداة لقتل الذباب.

عادت ليزا أخيراً واجتازت السيارة الحدود ، فتوقفتا عند بناء جمارك . ذهبتا بعدئذ الى البنك لاحضار الفرنكات ، وتركت جاكلين لائحة القطع مع التاجر لتأخذها منه فيما بعد . أرتها ليزا المجمع الاستهلاكي الجديد والموقف الفخم الخاص بالسيارات . نظرت جاكلين اليه بدهشة :

« لا اصدق عيني ، هل انا في اميركا ؟ »
كان المخزن مكيفاً من الداخل بشكل مدهش . كم شعرتا بسعادة كبيرة، وهما تتمشيان بين الاجنحة التي امتلأت رفوفها بالبضائع المستوردة من فرنسا وغيرها . قالت ليزا :
«لا احب عادة التجوال في الاسواق . ولكنني كلما اتيت الى هنا أشعر وكأننا في فترة العيد . »
وما ان حان وقت الغداء ، حتى كانت السيارة محملة قدر طاقتها بالجبن والفطر ، وزيت القلي ، وحليب البودرة ، والدجاج المثلج ، والصابون ، ومئات من لفافات ورق المحارم . كانت الحرارة لا تطاق في السوق المغطى ... واحتشد الناس يتدافعون حول الاكشاك . جلست النساء خلف اكوام البصل ، والبندورة ، يثرثرن ويضحكن . نظرت جاكلين الى مشترياتها ، وعرفت ما يتحلى به الافريقيون من خيال وابداع . غادرتا السوق بعد الساعة الواحدة ظهراً يتبعهما طفل يحمل الثلج ، وطفلة تحمل على رأسها سلة مليئة بالخضار . كانت السيارة كالفرن، فوضعوا بسرعة المشتريات في السيارة ثم الثلج في البراد المخصص لحماية الاشياء . تناولتا طعام الغداء المكون من قطعة لحم مشوية وحساء البصل في مطعم صغير . لفحتهما الحرارة عند خروجهما كغطاء صوفي ندي . كانت المقاعد ساخنة جداً فاضطرتا ان تغطياها بقماش قبل الجلوس فوقها . وخلال دقائق تبللتا عرقاً . انتظرتا عشرين دقيقة عند وكيل السيارة حتى انهى الفاتورة .



وصلتا اخيراً الحدود ، بعد ان تجاوزت الساعة الثالثة عصراً . نظرت جاكلين الى العلب والاكياس وقالت بفزع : «آمل ان يسمحوا لنا بالمرور عبر الحدود ومعنا هذه المشتريات.»
«كوني هادئة واخبريهم ان لديك الكثير من الاطفال. واذا اطالوا المشاحنة انفجري باكية ، فهذه طريقة ناجحة . اياك ان تكوني وقحة . »
كان يوماً سعيداً فقد اجتازتا الحدود بلا متاعب ، حتى ان حرس الحدود عند نقاط التفتيش عبر الطريق العائد الى اكرا رحبوا بهما ، وأفسحوا لهما الطريق من دون تفتيش .
كان الظلام قد أرخى سدوله عندما دخلت جاكلين المنزل ، بعد ان قادت ليزا الى منزلها . فتح ماتيو لها الباب حال وصولها واردف :
«انني مسرور لأنك عدت فالطرقات خطرة اذا حل الظلام . هل واجهت أية صعاب ؟ »
«لا كل شيء على ما يرام . هل كريسي هنا ؟ لدي بعض الاغراض في السيارة . »
علت وجهه مسحة من الدهشة وعدم التصديق . وبسرعة حمل اول صندوق لينقله الى الداخل ، ثم قال : «ان كريسي ليس على ما يرام . لديه صداع شديد لهذا طلبت منه ان ينام في منزله . »
حملت صندوقاً آخر وتبعته الى المطبخ .
«يبدو انك اشتريت ما يحلو لك . »
« ليست لوما عاصمة ، ولكن مخازنها مليئة بأشياء جديدة . »

«نعم، أعلم هذا لكنني أرسلتك لشراء قطع التبديل ، وآمل ان تكوني قد احضرتها ، فورق المحارم والجبن ليست الهدف . »

شعرت بخيبة أملها تزحف الى داخلها وقالت :

«قطع التبديل في السيارة . »

ثم ذهبت لاحضارها ، وسلمته الفاتورة واللائحة والوصل . فقال:

«سنتحقق منها الآن كيلا نقلق عليها .»

حاولت ان تبدو هادئة ، ولكنها ادارت ظهرها وعضت شفتها . ساد صمت مطبق . وعندما نظرت اليه ، رأته يتأملها بعينين سوداوين ونظرات مبهمة .

«آسف، سنترك الأمر الى الغد فأنت مرهقة . سأعد لك طعاماً . اجلسي وسأحضر بقية الاغراض من السيارة. »

«سآخذ دوشاً لأنني لا أتحمل نفسي هكذا .»

وعندما عادت الى المطبخ ، كان ماتيو يحضر البيض وقال:«ما هذه المأكولات يجب ان تخفيها كيلا اشاركك بها . »

« ولكن الاغراض لكلانا . السنا نستعمل مطبخاً واحداً ؟ »

«اجل . كم سأدفع لكِ ؟ »

أعد لها عشاءً فاخراً من البيض والجبن . وهيأ لها شراباً مثلجاً . كانت شديدة التعب ، فنهض ماتيو وامسك بيديها ليقودها الى غرفتها ... رأت ضحكة في عينيه . ولم تستطع مقاومتها .

«انها نقطة ضعفي الوحيدة . »



ضحك عالياً ، وهو يمسك يديها ، وسحبها اليه ناظراً في عينيها :

« انه لمن الاجدر ان نتناول دائماً عشاء فاخراً معاً بدلاً من ان نتشاجر.» وتابع بصوت منخفض :

«انك جميلة جداً هذه الامسية . »

أصبح وجهه قريباً منها ، والتقت عيناه بعينيها ، لم تتحرك ، لم تستطع ان تتحرك . ووبطء انحنى عليها وعانقها بدفء . وقفت بين ذراعيه بلا حراك ، وسرى فيها دفء لم تألفه . ثم التصقت به اكثر وطوقت عنقه بذراعيها . وبدا الانسجام واضحاً بينهما .

كان رأسها يدور ... داهمها شعور وتساؤلات ... ان هذا جنون . ماذا حدث لي ... لماذا يفعل هذا ؟ لم تستجب لأحد من قبل هكذا ، ويجب الا تستجيب له ايضاً . حركت رأسها ودفنته في صدره ...غلبتها مشاعرها ، وأحست بضعفها ، وقفا هكذا ساكنين لمدة وبدأ يشدها بقوة اليه . ثم أخلى سبيلها وهو يبتسم . لم تنظر اليه خوفاً من ان يدرك اضطرابها ، ولكنه اجبرها على ان تنظر في عينيه :

«يجب ان ننهي خصامنا على هذا النحو اليس كذلك؟»

حدقت فيه وكأن الكلمات خذلتها ...

ضحكت وهي تحاول ان تستجمع حواسها . نظر في عينيها ، وتمنى لها ليلة سعيدة ، وعندما دخلت غرفتها اخذت تتساءل هل كان ماتيو يعانقها فعلاً؟ ماتيو الرجل الذي ينفجر غاضباً في وجهها ويحتقرها ، الرجل الذي يثير غيظها على الدوام .

لقد عانقها فقط . فكرت في ذلك مضطربة . لكنها لم تكن طبيعية . لا تعلم السبب ولا تستطيع ان تشرح ما حدث .

فاحساسها أملى عليها ذلك ...لا تزال تشعر بذلك الدفء الغريب يسري في أعماقها . كفاك أحلاماً ... اذهبي الى السرير ليصحو رأسك . انه مسرور الليلة تمتعي بذلك قبل فوات الاوان .

لم يدم ذلك طويلاً . فقد أتى ماتيو الى مكتبها صباح اليوم التالي يرتجف غضباً . ورمى على مكتبها أوراقا ، حدق فيها ونظرات الشرر تتطاير من عينيه :

«انظري لعل هذا يفسر بعض الاشياء .»



## الفصل الرابع

القت جاكلين نظرة على الاوراق فوجدت انها ملخص لسيرة أعمالها ، وأوراق المقابلة التي بينها وبين السيد كريستوفر في نيو يورك . استغرق وصول الأوراق الى أكرا أكثر من شهرين . نظرت جاكلين الى عيني ماتيو المحملقتين فيها وسألته :

«ماذا يوضح هذا ؟ »

«هذا يفسر تلاؤمك العجيب ، وتأقلمك البسيط ، وثقافتك الحضارية ، ثلاث سنوات في غانا ، وسنتان في تركيا ، واثنتان في سويسرا . أظن ان لغتك الفرنسية جيدة .»

«على الاقل لست فتاة شقراء ساذجة . »

«لماذا لم تخبريني بذلك ؟ لماذا ؟ »

«لأنك لم تتح لي مجالاً للكلام . كما قد تذكركنت الذي يتكلم دوما . »

«كان علي ان اخمن ذلك . لكنني لم أفعل كنت مغفلاً. اعتقد انك مسرورة لهذا الانتصار . »

ثم خرج من المكتب صافقاً الباب وراءه . لم تشعر جاكلين بلذة انتصارها ، فقد كانت منكمشة على نفسها . لأن الصدام بينهما يسيطر عليها . انها تستطيع القيام بعملها ، ولكنها هل تستطيع الاستمرار في هذا الجو المشحون يومياً بالاضطراب والتوتر الدائمين بينها وبين ماتيو ؟

عملت جاكلين بجهد كبير طوال اليوم كي لا يسرح

تفكيرها . كان عليها ان توقع وترسل أكوام التقارير المكدسة على مكتبها . اصبحت على علم بمختلف المشاريع ، من التقارير التي قرأتها والاحاديث التي دارت بينها وبين ماتيو ، وزيارتها للمشاريع معه .
من الممتع حقا ان تعلم الحقائق المخيفة خلف الأرقام ، والاوراق التي تدونها يومياً .
عاد ماتيو الى مكتبها ظهراً يتصرف باتزان رجال الأعمال وقال:«نسيت ان أخبرك : لدينا ضيف شاب على الغداء من شركة التطوير الدولية . قدم لنا عدة خدمات . هل ستكونين جاهزة خلال عشر دقائق ؟ »
«اجل . قاربت على الانتهاء . »
« حسناً اخبريني متى انتهيت . »
وصلا المنزل ، فوجدا الضيف في انتظارهما .
«جاكلين هذا هو ديفيد غوردون وهذه جاكلين دونلي مساعدتي الادارية . »
لم تصدق جاكلين عينيها . هل هذا الرجل الاشقر الطويل هو ديفيد ، المتطوع في رابطة السلام ، النحيل الجائع الذي اعتاد ان يلتهم طعام والدتها كلما عاد من قريته ماراً باكرا. لقد كبر وغدا رجلاً . ما زالت عيناه الزرقاوان تنظران اليها بدهشة وسرور واضحين .
«جاكي . شدها اليه معانقاً بطريقة ودية . ماذا تفعلين هنا ؟ »
«أعمل مع ماتيو ... كم سررت برؤياك . »
سألها وما زالت يداه على كتفيها :
« اين والداك ؟ هنا ؟ »



«لا ، في الولايات المتحدة ... أتيت الى هنا وحدي . لقد اصبحت كبيرة كما ترى . »
كشر فمه ضاحكا وقال :«نعم هذا ما ألمحه . »
لمحت جاكلين نظرات ضاحكة في عيني ماتيو وهو يراقبهما ، فاحمرت خجلاً ، هل يسخر منها ؟
قال ديفيد محاولاً ان يشرك ماتيو في محادثتهما :
«كنت امضي معظم وقتي مع عائلة جاكلين عندما كنت متطوعاً . أنقذتني والدتها من الموت جوعاً. كنت اعمل في منطقة الفولتا ، وكلما سنحت لي الفرصة آتي الى اكرا لدعم معنوياتي ، وللتحصين الطعامي . »
اجابه ماتيو :«اظن انك كنت في حاجة الى ذلك . »
أحضر كريسي الطعام ، فجلسوا الى المائدة .كانت جاكلين فرحة لأنها لم تتناول الغداء وحدها معه بعد وصول الأوراق ، لم تتكلم كثيراً متيحة الفرصة للتحدث عن العمل .
كانت فرحتها بوصول ديفيد كبيرة للغاية ، لأنها اعتادت زيارته لهم وهي في السابعة عشرة من عمرها . كانا يقومان معاً بمباريات في معظم الألعاب .كم انصتت له وهو يتحدث مع والدها عن انتاج الذرة ، والصيد ، والوضع السياسي .
كانت معجبة بقوته لتحمله الصعاب كمتطوع . وكلما حدثها عن الناس الذين يعيشون في القرية الفقيرة القذرة ، كلما مس شغاف قلبها . اصطحبها عدة مرات الى أماكن ليلية راقية لسماع فرقة موسيقية شهيرة ، تحت قبة السماء وظلال أشجار جوز الهند . لم يستغل

ابداً مشاعرها نحوه ، وكم تساءلت ان كان يشعر انها بدأت تحبه . لم تكن عاطفتها تجاهه صادقة ، وما ان عادت الى الولايات المتحدة ، وانغمرت في حياتها الجامعية ، حتى نسيته تماماً وبسرعة . دارت عجلة الزمن ، ست سنوات مضت ، وها هو ديفيد يعود الآن اكثر جاذبية متخلياً عن نظرات الجائعين .

لكن قميصه المطبع على الطريقة الافريقية ، اكد لها ان ذوقه لم يتغير . من المؤكد انه لا يرتدي هذه الثياب للعمل ، لكنه قد يفعل تطبيقاً لمبدئه : الخروج عن المألوف أحسن شيء في هذه الحياة .

قرب ماتيو صحن الطعام الى جاكلين ، فتلاقت نظراتهما عبر المائدة وقال :

«اتساءل بمن تحلمين؟»

احست جاكلين بتوهج وجهها ، وبدا ارتباكها واضحاً اذ حدق ماتيو في وجهها بحقد . ثم دفع كرسيه الى الخلف ، ونهض ليتولى امر القهوة . ولما توارى عن الانظار قال ديفيد :

«اشعر بوجود توتر سيء بينكما . انا لا اتطفل يا جاكلين ولكنني اريد ان اعرف . »

«اذا اسألني . »

«هل انت مرتبطة أم حرة ... هل ترغبين في الخروج معي مساء غد ؟»

ذهبا معاً الى مطعم بالم كورت ، مطعم صيني جديد، وجميل يقع على الشاطىء . لم تتذوق طعاماً اشهى منه . ولمن المدهش حقاً ان تكون في قلب افريقيا ، وتجلس في مكان على الطراز



الصيني ، وتأكل طعاماً شرقياً شهياً ... تأنق ديفيد لهذه الأمسية ، فارتدى سترة مبطنة ، وقميصاً مفتوح الياقة كالسترة ، وكما يلبس ماتيو عادة . ضحكت جاكلين في وجه ديفيد معربة عن سرورها وامتنانها ، بينما حدّق فيها بعينين ضاحكتين وقال : «ما زلت كما عهدتك .»

«نعم فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، خريجة جديدة . »

«وما المانع في ان تظهري كفتاة مدللة ؟»

«عندئذ لن يستخدمني أحد لهذا النوع من العمل . ومع انني جدية كثيراً كما ترى ، لم يصدقني أحد . »

«ولكنك حصلت على عمل جيد في هذه الشركة . فهي ذائعة الصيت . »

«هل تعلم انني لاقيت صعوبات جمة حتى حصلت على العمل ؟ لقد خذلت عدة مرات ، واؤكد لك ان هذا ليس لنقصي في مؤهلاتي... ولكن لظنهم انني شقراء غبية، ولم تساعدني مؤهلاتي على محو ذلك الانطباع. »

«انه عبء كبير ان تكوني شقراء جميلة . »

«كفى يا ديفيد ... حتى أنت لا تعاملني بطريقة جدية ... إن هذه هي مشكلتي . »

«آسف لازعاجك ... اخبريني عن والديك وما يفعلان؟»

يا له من موضوع سهل للمناقشة . فكرت جاكلين وهي تصب الشاي :

«انهما في الوطن الآن . اشتريا بيتاً في مين

وسيمضيان فيه قرابة عامين فوالدي يؤلف كتاباً عن التطور ، ومتى انتهى منه، سيذهبان ثانية عبر البحار . »

«وما الذي جعلك تأتين الى غانا ؟»

«كنت دائماً أرغب في العودة الى غانا لأعمل ... انني احب هذه البلاد . »

شعرت جاكلين بالاضطراب لأنه لم يكن من السهل عليها ان تتكلم عن مشاعرها . فقد اساء فهمها كثير من الناس ، وظنها بعضهم فتاة مثالية خيالية .

«حسناً ... تعلم انني عشت حياة رغيدة ، حصلت فيها على كل ما اريد بل اكثر ، ولكنني كنت اشعر بعدم الرضى عن هذا . كنت احاسب نفسي ، لهذا لم اتمتع بكل ما قدم لي ، بينما يعاني الكثيرون بطريقة او بأخرى . لهذا أردت ان اعمل شيئاً . »

«ادرك ذلك ، اذا اتيت الى افريقيا لتريحي ضميرك ، وتخدمي الفقراء ، بدلاً من ان ترسلي بضعة دولارات الى جمعية العميان.»

«كيف تجرؤ يا ديفيد على قول هذا ؟»

«اذاً هذا ليس قصدك . »

«ظننتك تعرفني تماماً . »

«لا ... كنت صغيرة في السادسة عشرة من عمرك عندما كنت القاك ، لطيفة ، مرحة ، وحادة . »

لم تقل جاكلين شيئاً ، اذاً هو على حق ، فقد تغيرت أفكارها خلال سنوات الفراق الست.

اردف ديفيد : «انظري الي جاكي . »

نظرت الى عينيه الزرقاوين الصافيتين فقال :



«اردت ان أعرف الدوافع التي قادتك الى هنا . ولكنني اخطأت في طرح الموضوع ، وأريد منك الا ترتكبي الخطأ نفسه الذي ارتكبت ، لا تكوني متطوعة . »

بدا ديفيد حزيناً ، تذكرت جاكلين حماسته عندما كان يكافح لوضع المشاريع للقرية ، وما اصابه من خيبة أمل ، وغضب فعلقت قائلة :

«لقد تحررت من الوهم . »

«لقد عانيت خلال عامين عندما عدت من الولايات المتحدة ، حتى تمالكت نفسي من جديد . »

«وأراك امامي الآن . »

«ولكنني تعلمت درساً لن انساه ، انظر الى الأمور بموضوعية ، وبهدوء على الدوام من دون أية نظرة عاطفية . »

«تبدو ساخراً الآن ، لا بد ان هناك حلاً وسطاً . »

«أريد ان اكون عملياً وعاقلاً ، وأريد ان تكوني كذلك.»

«ان عملي لا يستوجب أي تورط عاطفي . »

«انه غاية في الجد ... تعالي نتمشى على الشاطىء . »

خلعا احذيتهما ، ومشيا على الشاطىء حفاة على الرمل القاسي الرطب . تطايرت تنورة جاكلين الطويلة حول كاحليها ، فشعرت بحريتها وسعادتها من دون مراقبة ما .

هتفت جاكلين في اعماقها : انني دائماً مراقبة ، افكر بماتيو وماذا سيظن ، وماذا سيقول ، وكيف سيتصرف ...لا ... لا تريد ان تفكر به الآن .

لم تسمع الا أصوات الامواج المزمجرة ، الزاحفة

نحو الشاطىء ، المتلاشية عند قدميها . كان زبد البحر يتلألأ بشكل رائع تحت أشعة القمر ، شعرت جاكلين بضآلتها أمام خضم مياه المحيط ، والنجوم المتلألئة في قبة السماء .

تابعا مسيرهما متشابكي الأيدي ، يتمتعان بهذا الجو الساحر . وفجأة رمى ديفيد حذاءه على الرمال، ووقف يحدق في وجهها . توقفت هادئة ، ونظرت في عينيه فقال : «انني شاعري للغاية .» شدها نحوه برفق فاقتربت منه بدورها واحاطها بذراعيه، وعانقها طويلاً .

بعد منتصف الليل ، قادها الى منزلها فقالت :

«اشكرك يا ديفيد . كانت سهرة رائعة . »

«ولي ايضاً .» ثم مال نحوها وقال : «سنسهر معاً قريبا ، ولكن لا تنسي ثياب السباحة . »

استلقت على سريرها تفكر بديفيد وبنزهتهما على الشاطىء . ماذا قال بعد ان عانقها « ان هذا جميل» نعم كان ذلك لطيفاً . ولكن ...لا يكفي . هناك شيء مفقود . انها الشرارة الكهربائية . ادارت نفسها وهي تقرب الغطاء منها . هل ترغب في شيء خيالي . شيء لا يوجد الا في القصص العاطفية . انها على يقين من ذلك . على الرغم من انها عاشت تلك اللحظات ، ومنذ أمد قريب عندما عانقها ماتيو عقب عودتها ذاك المساء متمنياً لها ليلة سعيدة ، فسرت شرارة كهربائية في اوصالها ، مع انه لم يكن من الاشخاص المفضلين لديها .

انها تريد ان تحب شخصاً بجنون ، انساناً يفقدها



اتزانها ، ويحرك سكونها من الاعماق ، ويسّرع من نبضات قلبها .

تنهدت وهي تنظر الى السقف ... لا يوجد هذا النوع من الرجال ، ولا يوجد في الحقيقة هذا الحب الذي يتضمن كل ما تطلبه ، والذي يرضي احلام الفتيات. همست لنفسها وهي تشعر بالحزن والخسارة ، «ما زلت طفلة يا جاكي »، ثم ما لبث الكرى ان داعب عينيها .

لم تفتقر جاكلين لصديق . فمن السهل جداً لفتاة تعيش وحيدة ، أن يحوم حولها شبان كثيرون متحمسون في مدينة كأكرا يدعونها الى العشاء والمراقص . ولكنها فضلت ان تمضي معظم أوقات فراغها بصحبة ديفيد حيث استمتعا بالسباحة والرقص ، ومشاهدة الافلام . لم يدعا فيلماً من الافلام المعروضة في المدينة الا وشاهداه كانت جاكلين تستمتع بأوقاتها مع ديفيد ، وكانت في كل مرة تكتشف التغيير الذي طرأ على شخصيته . لقد اختفت حماسته التي كانت جزءاً منه ، ويؤلمها ان يتكلم بسخرية وتشاؤم عن المشاريع التي يعمل بها عندما يسأل عنها . لم توافق على هذا ولكنها لا تستطيع ان تغير هذه السلبية . كانت جاكلين تقبل دعوة غيره من الاصدقاء بين آونة وأخرى، ولكنها سرعان ما تتعرض لبعض المضايقات التي لا ترضى عنها . وفي احدى الليالي تعرضت لازعاج كبير ، فاضطرت ان تحد من تصرفات شخص خرجت معه . وما ان وصلت المنزل حتى كادت تنفجر .

التقت بماتيو مصادفة ، وهي في طريقها الى المطبخ لتأخذ كوباً من الماء البارد وما زالت في أوج غضبها. جذبها من يدها فانفجرت مزمجرة :

«لماذا هذا الانفعال . هل انت مجنون ؟ »

«نعم . بالتأكيد . »

«ماذا فعلت لك الآن ؟ »

اجابها والدهشة تملأ عينيه ، وهو ينظر باحتقار اليها : «لا شيء هذه المرة . انني مجنون من الشخص الذي خرجت معه . اتى الى المكتب لزيارتك الاسبوع الماضي . »

اخذت زجاجة الماء من الثلاجة ، وصبت لنفسها كوباً . عبس ماتيو وهو يقول :

«هذا الفتى لا يستطيع كبح جماح نفسه . »

«انا لا اعلم شيئاً بهذا الخصوص . ولكني اعلم ان افكاره عن المرأة الغربية غريبة جداً . »

«الم تسهلي له المهمة ؟ »

تابع كلامه ، وهو ينظر اليها بازدراء من رأسها الى اخمص قدميها ببطء وتكاسل . فعضت جاكلين على اسنانها غاضبة .

«هل لي ان اسألك ما قصدك ؟ »

اجابها : «انظري الى هذا الثوب الذي ترتدين . »

نظرت الى ثوبها البنفسجي ، والازرق الطويل المنسدل الى الارض كان ثوباً جميلاً ملائماً لها ، ولكنها لم تدرك على الاطلاق ما قصده ماتيو .

«وماذا عن ثوبي ؟ »

«انك لا تتركين شيئاً للتخيل . اليس كذلك ؟ »



«انني مغطاة من رأسي الى اخمص قدمي كما ترى.»

«لا فرق في هذا . »

«وما عليّ ان افعل اذن ؟ هل الف خيمة حولي ، وأدعي أنني ازن مئتي رطل ؟ »

«تعالي الآن.» اخذ كوب الماء من يدها «لا تغضبي مني . انني واثق كل الثقة بأنك تتمكنين من المشاجرة، ولكنني ارى انه يكفيك التشاجر مع شخص واحد في الليلة الواحدة .» وضع كوب الماء في الحوض وتابع كلامه ، «من الافضل لمن له حياة اجتماعية حافلة مثلك ، ان يحتفظ بقوته . »

غلى الغضب في عروقها ، وهي تنظر الى وجهه الساخر ، ومنكبيه العريضين . قرأت في عينيه أنه يتوقعها ان تثور في وجهه . حسناً لن تفعل . لا تدري من اين جاءتها القوة وطول البال، حتى سيطرت على اعصابها ، وابتسمت في وجهه قائلة :

«انك محق يا ماتيو . ليلة سعيدة .» ثم خرجت من المطبخ من دون ان تنظر اليه .

«اتمنى لو استأجر شقة في مكان آخر . » همهمت وهي تخلع حذاءها تستطيع على الاقل ان تعود ليلاً الى مطبخها ، فتأكل ما شاءت من دون ان تلتقي به . انها برفقته طوال النهار . ولكن من المؤكد انها لن تعثر على سكن ، وتحب ضمناً هذا المكان : انه صغير ، ومريح ، وأنيق بستائره البراقة ، ووسائده والاضواء التي احضرتها من وطنها . اعطتها ليزا سجادة صغيرة ليست بحاجة اليها . فبدت جميلة

على الارض الخشبية ، احبت المفروشات البسيطة التي صنعها احد النجارين في طرف الشارع .

لم تمضِ سوى عدة اشهر ، حتى اصبحت مرتبطة عاطفياً بمنزلها . كم تشعر بمتعة عندما تجلس على الشرفة تقرأ او تكتب ، او تراقب التماسيح الصغيرة وهي تسابق بعضها بعضاً . او تراقب البستاني وهو يشذب الحديقة بعد عودته من قريته . كان فخوراً بعمله . وكثيراً ما كان يحضر ابنته معه ، كي تلعب مع ابنة كريسي . كم تستمتع بمراقبتهما ، وهما تطاردان دجاجات كريسي ، فتضحكان وتصرخان .

وقفت جاكلين تحت الدش تفكر . لماذا لا تترك العمل وتخبر جينكنز انها احبت العمل ، ولكنها لا تحتمل الرئيس . سيسر ماتيو جداً بهذا . انها واثقة من ذلك خرجت من الحمام ونشفت جسمها . لم تكن العودة الى الوطن حلاً جذرياً لهذه المشكلة ، لانها لا ترغب في ترك عملها. انها تحب غانا وتحب عملها . ولكنها لا تتحمل ماتيو سيمونز .

انهمكت جاكلين كثيراً في عملها ، حتى انها لم تنتبه لدخول ماتيو الى المكتب . نظرت اليه مندهشة عندما رأته يقف امامها قائلاً : «يجب ان نذهب الآن لنصل الحفل في الساعة السادسة . »

«واي حفل هذا . »

لم تسمع عن الحفل ، ولا تريد الذهاب اليه ...

«لم اسمع شيئاً عن هذا الحفل ولا اريد الذهاب . لم أتلق دعوة . »

«لا داعي ... ستذهبين في كل الاحوال ... هلمي . »



انه يريد ان يملي عليها تصرفاتها حتى في اوقات فراغها . الا يكفي انها تعمل معه معظم نهارها ، وتشاركه المنزل نفسه ، وتأكل معه وجبات الطعام، لترافقه ايضاً الى الاماكن الاجتماعية . انفجرت شرارة التمرد في داخلها .

«لن اذهب . »

«لن تذهبي ! هل لي ان اعرف السبب ؟ »

«لقد اخبرتك ، لم اتلق دعوة . وأشعر باني سأصاب بصداع شديد هذه الليلة . انه الم الشقيقة . »

اقترب منها اكثر ، وحدقت عيناه في عينيها ثم قبلها وقال :

«ستذهبين . لن استطيع ان اقنعك بشكل افضل يا صغيرتي ... يجب ان تذهبي لأن الحفل يتعلق بالعمل.»

داهمها شعور مفاجيء من اللامبالاة وقالت :

«هل اذهب لارضائك ؟ وهل ستطردني من العمل ان لم احقق رغبتك هذه ؟ »

استقام في وقفته ، ووضع يديه في جيبيه ، حملق لمدة طويلة فيها وقال ببطء : «ليس في نيتي ذلك . »

«مفاجأة . الا تريد فصلي من العمل ، كنت اعتقد انك تتوق لذلك.»

«ليس من عادتي ان افصل الموظفين الذين يقومون بواجبهم على اكمل وجه . »

لم يكن يجاملها ، بل يخبرها الحقيقة الواضحة ، فهي واثقة من قدرتها على العمل . لم تستطع ان تتجاهل سؤالاً راود مخيلتها فقالت :

«حتى ولو كان الموظف امرأة ؟ »
كان وجهه قاسياً ، ولكنها لم تتجنب نظراته .
«تريدين تذكيري بما مضى . أليس كذلك ؟ اذاً دعيني أخبرك يا صغيرتي انني اهتم بالعقل والكفاءة ، والقدرة على التحمل ، وليس الشكل ، لن اهتم ولو كنت دينصوراً ان كل ما يهمني هو تنفيذ عملي باتقان . »
اضحكها انفعاله هذا . ولكنها خشيت من ذلك ، فأجابته بتهكم :
«كم تلهفت لسماع علائم اطرائك لي ، فهو يجعلني ناعمة كالزبدة . »
التقت عيونهما للحظة ، ولم يتفوها بكلمة . ثم مشى ماتيو نحو الباب وقال :
«اني ذاهب الى المنزل الآن . آمل ان تكوني جاهزة الساعة السادسة الا عشر دقائق . »
قرع ماتيو باب غرفتها ، وكانت غير مستعدة بعد . قالت لنفسها، لينتظر ، متجاهلة قرع الباب . ليس عليها الا ان تضع القرطين وتنتعل حذاءها . وبعد لحظة فتح الباب اكثر ، ورأت ماتيو يقف امامها انيقاً . نظر اليها وكأنه يقيمها :
«حسناً . لن تنتهي امرأة في الموعد المحدد . اليس هذا صحيحاً؟ »
لم تستطع ان تبقى هادئة ، وهي تتلقى نظراته المتفحصة . لكنها لم تطلب منه أن يغادر الغرفة كيلا يضحك منها. فهي لا تريد ان ترضيه . حاولت ان تضع احد اقراطها وهي تتجاهله . ومن شدة



ارتباكها سقط برغي القرط في المغسلة ، فأسرعت بالتقاطه ، وحاولت أن تعيده الى اذنها ولكن عبثاً .
فسألها : «هل ازعجك .»
«لا . »
ضحك عالياً لأن صوتها دل على انزعاجها . اسند ظهره الى الباب وقال :
« لو كنت تؤمنين بالفضيلة ، لما سمحت لرجل ان يدخل ، الى غرفتك . »
«في الحقيقة انني مستمتعة بهذا . »
بدل وقفته ولكنه لم يذهب خارج الغرفة . ارتعشت اصابعها كثيراً ، واحمرت اذنها ، ولم تستطع ادخال القرط فيها . فقال لها ماتيو :
«دعيني اساعدك .» ووضع يده على كتفها ، فهربت منه قائلة :«اخرج من هنا . »
«ليس الآن . تبدين اكثر جاذبية وانت هكذا.» امسك بكتفيها ، وتابع:« انك ترتجفين ، لا تقلقي ليس في نيتي ارتكاب جريمة ...»
جذبها اليه ، كانت تريد ان تقاومه ، ولكنها لم تستطع، فقد كان اقوى منها . كان عناقه قوياً. احست بيديه القويتين الدافئتين على ظهرها . استكانت بين ذراعيه وعانقته بدورها .
لا . لا يجب ان استسلم له كلما شاء ان يلمسني ... يجب ان اقاومه ... كان هذا ما يدور في عقلها ، وهي ما زالت بين ذراعيه.
داعبت يداه ظهرها ، ثم تخللت اصابعه في شعرها، حتى انسدل على كتفيها . قبل عينيها المغلقتين ،

فاختلج قلبها كالطائر . لم تعد تفكر في شيء . كانت قدماها ترتعشان عندما تركها ، فابتسم في وجهها بضحكة عريضة وقال :«ارى اننا نستطيع الانسجام بلا عصير وعشاء فاخر . ما رأيك؟»

«اتركني وحدي . اخرج من هنا . »

«حاضر يا سيدتي . »

رأته بالمرآة كان يعض شفته ، والابتسامة تلوح في عينيه . خرج واغلق الباب وراءه .

جلست جاكلين على حافة السرير ترتجف . لماذا فعل هذا ؟هل لاحظ تأثيره فيها هل فعل هذا ليشعرها انه رئيسها مهما كانت الظروف والاماكن ؟ وقفت وحاولت ان تعيد تصفيف شعرها بيديها المرتجفتين. ثبتت القرطين في اذنيها ، ثم ذهبت لتكمل زينتها . نظرت الى نفسها في المرآة راضية .

لم يتفوه احدهما بكلمة حتى وصلا الى المنزل جورجين سونز. كان الحفل في الحديقة التي انيرت بالكهرباء ، تحت ظلال اشجار المانغا والنخيل . التف الناس في حلقات يتسامرون . عرفها ماتيو على الجميع . ولكنها حاولت جاهدة ان تحفظ اسماء الدبلوماسيين ، ورجال الاعمال من اهل غانا واميركا. ثم تركها لشأنها ، فسرت كثيراً وهي تتحدث الى السيد فوردور من رجال اعمال غانا . زار السيد فوردور من رجال اعمال غانا . زار السيد فوردور اوروبا والشرق الاوسط ، وقص عليها الكثير من مغامراته الشيقة بسبب اسفاره . وعندما انتقلت الى جهة اخرى ، قابلت اناساً ممتعين . كانت ترى ماتيو



بين الفينة والاخرى ، وهو يتكلم مع اصدقائه ، واضعاً يده في جيبه ، ويمسك بالاخرى كوباً من الشراب . كان يبدو جدياً معظم الوقت . لم يأت للتسلية ، بل لينتهز الفرصة كي يناقش امور العمل . تمنت جاكلين الا تعيره اهتماماً . فقد كانت تراقب كل حركاته ، اين كان ، ومع من تكلم ، ها قد تحرك من مكانه ، وكيف تحرك . وعندما وجدته وحيداً للحظة ، اخذت تحدق فيه . وفجأة وكأنه شعر بنظراتها فنظر اليها . وهو يبتسم، وبالطبع اشاحت بوجهها عنه لتتجاهله . ولم تبادله الابتسامة . بعد لحظة سمعته يهمس قربها :

« اما زلت حانقة عليّ؟»

اذاً لقد لاحظ انها تجاهلته . هل يريدها ان تتغاضى عن تصرفاته كأن شيئاً لم يكن . اجل انها حانقة ، وستبقى كذلك . نظرت اليه ببرود . فقال لها :

«لم ادخل غرفتك لهدف ما . انت التي طلبت ان افعل.»

«انا . انا طلبت منك ذلك وانت بالذات ؟ »

«لم تقولي ذلك ولكن كان مظهرك مثيراً . وكان عليك ان تدركي ذلك جيدا . »

اطبقت اسنانها بحدة وغضب .

«كنت في غرفتي الخاصة ولم اطلب منك الدخول . »

«ولكنك لم تعترضي على دخولي الا عندما اقتربت منك . »

لم يكن لديها ما تقوله ، فضحك من غضبها الساطع. امسك بذراعها وقال :

«تعالي نأخذ كوباً من العصير لعله يزيل حدة توترك.» ثم تنهد قائلاً : «لماذا تصنعين من الحبة قبة يا جاكي ؟ اين اختفت روحك المرحة ؟ تتصرفين وكأنني آذيتك . وكما اذكر لم تحاولي مقاومتي .»

لان وجهها قليلاً وقالت :

«لست على حق في ان تدخل الي غرفتي هكذا . »

نظر اليها بهدوء وقال : «حسناً اني اعتذر . »

حملقت فيه مندهشة ، لم تفهم شيئاً من تعابير وجهه، ولم تسعفها الكلمات فأردف :

« حسناً هل تريدين عصيراً الآن ؟ »

«نعم من فضلك عصير الليمون .»

غاب ماتيو وسط الجموع . لم تصدق اذنيها ، هل حقاً اعتذر منها.لا . لا تصدق ... ان ماتيو لا يعتذر مهما كانت الظروف . دوى صدى كلماته في مسامعها ، فشعرت ان الموضوع قد انتهى طالما انه اعرب عن اعتذاره . وبعد ان فكرت في اعتذاره ادركت انه نوع مختلف من الرجال . ومع انه اعتذر ، لكنه المنتصر دوماً .

عاد ماتيو بالعصير ، ثم تكلما مع بعض الناس ، وبعد ذلك تركها وشأنها وذهب ليتكلم مع شخص آخر . وخلال تجوالها التقت جاكلين بديفيد وجها لوجه . وضع يده على كتفها مرحبا :

«لم اكن اعرف انك موجودة . »

«لا لم يكن متوقعاً ان آتي ، اتيت بأمر من رئيسي.»

«لا تدعي السفير يسمع ذلك . فقد يفيك من هنا . دعيني اعرفك على بعض الاشخاص . »



صافحت جاكلين الكثيرين ومن بينهم استاذ جامعة هولندا ، وجراح من غانا ، وصاحب مكتبة من لندن. عاد ماتيو بعد قليل ليصطحبها في عودتهما للمنزل وفي السيارة قال لها :

«لقد استمتعت بهذه الامسية . اليس كذلك ؟»

«اجل . اني لا احب تذمر السيدات من الخدم ، وعدم توفر جميع انواع الاطعمة الخ ... فمن لا تتكيف مع العيش هنا ، عليها ان تعود الى بلادها . »

اجابها بجمود : «هذا صحيح . »

شعرت جاكلين انها اساءت اليه ، فقد يظن انها تقصد دايانا التي عادت الى وطنها لانها لم تحب غانا . ان تعليقها غير لائق وهي تأسف لذلك .

«آسفة . لم اقصد ان اقيّم تصرفات الآخرين . »

ابتسم بفتور وقال :

«لا بأس . انك على حق كما تعلمين . »

قاد السيارة ببطء عند المنعطف ، ثم نظر اليها وقال:«هل تتذكرين الرجل ذا الثوب الازرق الطويل السيد مينيلا ؟» تذكرت الثوب . فقد كان مطرزاً مما يشير الى ان صاحبه من شمال المدينة .

«اجل تقصد الشاب الذي عاد من كانساس يحمل شهادة الدكتوراه في العلوم الزراعية . »

«نعم . انه هو . اخبرني انه ابن احد الاعيان في الشمال.» داس ماتيو الفرملة كيلا يصطدم بسيارة اجرة ظهرت فجأة ثم تابع :«لقد زارني في مكتبي منذ عدة اسابيع ولم تكوني موجودة حينذاك . اخبرني انه يهتم بمشروع يتعلق بفول الصويا في قرية والده،

وبناء على معطياته ، ارى ان ندرس المشروع . يريد مني ان اذهب الى القرية واقنع اباه والاعيان في القرية بآرائه . وقد كرر الدعوة هذا المساء . قررت ان القي نظرة هناك . اعتقد ان الشاب متحمس للمشروع، احساسي يقول بأنه سيقوم بعمل جيد . »

سألته جاكلين :

«وهل ستقطع كل تلك المسافة لتلقي نظرة ؟ »

تستطيع ان تقوم ببعض الاعمال في طريق العودة، استقرت نظراته عليها ،وسألها : «ما رأيك لو نذهب معاً ؟ »

«لماذا ؟»

«يستطيع ستيفن ان يتكفل بأمور الماعز في الاسابيع القليلة المقبلة . اعتقد انه في امكانك مساعدتي هناك. ستدونين ملاحظاتك ، وتكتبين تقريراً عما سنجده هناك. واذا كانت جديرة بالاهتمام ... ستعدين بحثاً دقيقاً عن معظم الحقائق والارقام ...»

جلست هادئة تفكر في هذا الاقتراح . بدا الأمر ممتعاً للغاية . وهذا يعني انها ستهتم اكثر بالاعمال الفعلية التابعة للشركة وهذا ما ترغب فيه . ولكن ما خلفيات هذا الاهتمام ؟ هل اكتشف ماتيو ان لديها امكانات يريد استغلالها ؟ انه صادق وايجابي في تقدير عملها .

«يسرني ان اذهب اذا كان بوسعي مساعدتك . »

دخل شارع منزلهما ، فهرع البواب عائداً من زيارة صديقه ، ليفتح لهما البوابة .

«لن يكون الامر سهلاً .» اجاب ماتيو وهو يفتح لها



باب المنزل لتدخل ، «لا بد من بقاء السيارة معنا في القرية . لهذا لن نذهب بالطائرة الى تامال . سنغادر في آخر الشهر ونصل الى هناك خلال يوم واحد .»

«سنصل تامال في يوم واحد ؟ »

«الا تستطيعين ذلك ؟ »

فهمت ما يعنيه من هذا السؤال فقالت :

«انا طبعاً استطيع . ولكن هل تساعدنا السيارة في هذا ، اني افكر في مشكلة السيارة . »

«اتركي امر السيارة الآن.»

## الفصل الخامس

بعد تناول ماتيو وجاكلين طعام الافطار الذي اعده لهما كريسي ذو العينين المثقلتين بالنوم ، انطلقا باتجاه الشمال الساعة الخامسة صباحاً ، وما زال الليل مخيماً والجو بارداً .

كان كل شيء هادئاً من حولهما ، ولم تكن حركة المرور قد بدأت تنشط بعد . سألها :

«هل زرت شمال غانا قبل الآن ؟ »

«اجل زرته عدة مرات مع والدي ، ومرة مع صديقة لي هولندية ، اتى والداها وهما طبيبان في بعثة طبية الى افريقيا. ركبنا سيارة شاحنة ، وتابعنا بقية الرحلة متطفلتين ، نوقف السيارات لنركب مجاناً . »

«اجل ان البلاد هنا آمنة اكثرمن الولايات المتحدة .»

«لن احلم بالتنقل هكذا في اميركا . »

«بالتأكيد لأن المجتمع الافريقي متفوق في تهذيبه . »

«ان هذا احد الاسباب التي دفعتني الى العودة الى غانا .» التفت اليها ، ثم نظر امامه قائلاً :

«انك تحبين هذه البلاد اليس كذلك ؟ »

«نعم خاصة الشعب ، فالناس هنا طيبون ومرحون ان الافريقيين فخورون كثيراً بأنفسهم ومحترمون .»

مرت بهما شاحنة كتب على مؤخرتها : لا تستطيع ان تغير شيئاً من مصيرك .

ضحكت جاكلين وقالت :

«وهم فلاسفة ايضاً . انظر الى تلك الشاحنة .»



اضفت الشمس البراقة حلة رائعة على الكون ، ما لبثت ان تحولت الى وهج متلألىء . كانت الطريق الى كوماسي مكتظة بالسيارات ، ومع هذا فالسائقون يقودون سياراتهم بسرعة جنونية ويحدثون ضوضاء مروعة . كانت التلال مغطاة بغابة خضراء . سرّت جاكلين بهذه المناظر الجميلة ، وتأملت القرى التي مرا بها . تناثرت ابنية صغيرة الى جانب الاكواخ التقليدية التي صنعت سقوفها من سعف النخيل .

وتحت ظلال اشجار المنغا ، جلست النساء على مقاعد طويلة تحضرن الطعام ، او تطعمن صغارهن .

تناولا غداءهما في مطعم كوماسي ، وغادراه بسرعة كبيرة كيلا يفوتهما وقت انطلاق المركب ياجي عبر بحيرة الفولتا .

كانت مدينة البحيرة تعم بالنشاط حتى في منتصف النهار . وتحت اشعة الشمس المحرقة ، كان المركب في منتصف البحيرة ولن تستغرق عودته اكثر من ساعة . وكذلك وقفت السيارات الخاصة اولاً ، ثم عدد كبير من السيارات الشاحنة . تمدد بعض سائقي الشاحنات تحت ناقلاتهم ، اتقاء للحر الشديد بعد ان طال انتظارهم لعدة ايام .

ظهرت بعض النعاج هنا وهناك ، تحوم بينهم علها تجد مأوى من اشعة الشمس المحرقة .

تقدم ماتيو بسيارته مجتازاً سيارات الشحن ، متفادياً الاطفال والكائنات الحية الاخرى ، التي كانت تتمشى بين السيارات من دون وعي او ادراك .

تمشى ماتيو وجاكلين حتى وصلا طرف البحيرة ،

فشاهد المركب يتهادى ببطء فوق المياه . انتشرت قوارب الصيادين بألوان براقة على الشاطىء تنتظر ان تبدأ رحلة جديدة .

مرت بجانبهما فتاة صغيرة تحمل قرط الموز على رأسها . توقفت تحملق فيهما بعينين متسعتين، وعلى وجهها نظرة باردة لا حياة فيها . التف حولهما اولاد آخرون ، ينظرون اليهما بصمت ، او يشيرون بأصابعهم وهم يقهقهون . ضحك ماتيو وقال:

«انهم يحدقون فيك ، وأراهن بأنهم لم يروا فتاة ذات شعر اشقر هكذا . » غمز الاولاد بعينيه ، فانفجروا بالضحك عالياً . وكأن غمزة العين مضحكة للغاية.

أخذ ماتيو يغمز الاطفال اينما وجدهم فسألته جاكلين : «هل يغمزك احد بدوره ؟ »

«ابداً . انهم يحملقون ، او يضحكون ، او يصيحون . »

«سيظنون انك ساحر ، تقوم بأشياء مجنونة بواسطة عينيك . »

«وهذه غايتي .»

«وهل تريد ان تعطي الناس انطباعاً خاطئاً ؟ لست شاباً سيئاً كما ظننت في البداية ، مغالياً في تحيزه، شرساً ، وذا كبرياء متعال ، وغير متزن وذا اخلاق سيئة الخ ... الخ . »

«لم اقرر بعد . »

بدا على وجهه اضطراب ساخر وهو يتابع:

«ربما لم اقنعك بعد بهذا . انني رائع فعلاً . ولكن لم تتح لي الفرصة الكاملة لاثبات ذلك . »

«احب ان تثبت ما تقول . »



وما ان نطقت ذلك ، وادركت المعنى المزدوج لجملتها حتى شعرت بالخجل يضرج وجنتيها . فنظر ماتيو اليها وضحك من اعماقه مما زادها احمراراً . تلعثمت وقالت : «لم اقصد ...»

اجابها وهو ما زال يضحك :

«نعم فهمت خلفيات هذه الجملة التي لم تعنيها . لسانك يزل احياناً وهذا خطر كثيراً . »

اخيراً... ها قد اتى المركب وعليهما ان يعودا الى السيارة. اتجهت جموع المشاة الى الشاطىء يحملون الحزم والسلال والاطفال . ثم اتى دور السيارات .

كان عليهما ان يسيرا ببطء كي تحمل السيارة فوق المركب وفقاً لتعليمات رجل يصرخ ويؤشر بما يفوق طاقته . تبعتهم شاحنة كتب عليها شعار : الاشياء الحلوة لا تدوم .

بدا النهار مملاً وطويلاً ، وكأنه لايود ان ينصرم. كان جسمها يؤلمها من الحر والتعب وانعشهما النسيم قليلاً في السيارة على الرغم من انه كان مثقلاً بالغبار والحرارة . وبعد ان حل الظلام ، واشارت الساعة الى ما بعد السادسة ، وصلا الى فندق كيترنغ ريست هاوس ولم يكن لدى جاكلين اية طاقة تمكنها من النهوض من مقعدها ، فقد شعرت انها ملتصقة به من العرق . وجدا مكتب الاستقبال خاوياً . وبعد برهة استطاع ماتيو ان يعثر على الرجل الذي بدا نائماً، واخذ يقلب دفاتره من الامام الى الوراء وبالعكس عدة مرات ، ليعثر على اشعار الحجز الخاص بهما ، نظرت جاكلين الى ماتيو ، ويكاد رأسها يهوي في اية

لحظة . انها بحاجة لدوش وسرير ولا شيء غير ذلك.
«ها هو.» قال الرجل اخيراً وعلامات الارتياح بادية على وجهه. «المنتجات الغذائية الدولية بيت من طابق واحد رقم ٢٦ لمدة ليلتين .
فقال ماتيو متردداً :
« حجزنا من اجل شخصين . اعني غرفتين واحدة للسيدة واخرى لي . »
«لم يحجز سوى مكان واحد ، يوجد في البيت الريفي سريران .»
أجابه ماتيو بحنق :«اننا نريد غرفة اخرى . »
«آسف يا سيدي فالمكان ممتلىء . هناك مؤتمر في المدينة ... ولكن قد تجد غرفة اخرى ثانية في الغد .»
«اريد غرفة ثانية اليوم ، واريد ان اقابل المدير من فضلك . »
رد الموظف ببرود :«لقد سافر المدير يا سيدي . »
خشيت جاكلين ان ينفجر ماتيو غضباً ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث . ساد صمت لبرهة وجيزة ، ثم التفت الى جاكلين باستسلام وتعب ظاهر على وجهه وقال :
«حسناً ليس علينا الا ان نتشارك البيت الريفي. بما ان المؤتمر سيعقد في المدينة ، فسيكون بيت البعثة ممتلئاً ايضاً . »
اخذت جاكلين تفكر في الموقف ... سأشترك مع ماتيو في الغرفة نفسها ، وسريره بجانب سريري . تواردت في مخيلتها كل الاحتمالات . ستجني المتاعب . لم يفارقها المشهد الذي حصل في غرفتها . وتساءلت



ان كان ماتيو سيستغل هذه الفرصة اذا باتا في الغرفة نفسها .
«لا تنظري الي هكذا ، وكأني تدبرت هذا الموقف .»
احمرت خجلاً . تساءلت ترى هل قرأ افكارها .
«اني افضل الانفراد بنفسي . »
شعرت انها سخيفة عندما قالت ذلك ، ولكن كان عليها ان تقول شيئاً . قد يكون هو الآخر راغباً في الانفراد بنفسه . ولكن ليس هناك من خيار .
«ان الانفراد بنفسك في غرفة خاصة بك رفاهية ، يجب ان تتنازلي عنها . اننا في حاجة للنوم والراحة. لن اتخذ السيارة بيتاً ، ولو بقيت على اعتراضك حتى الصباح ، خاصة وانه يتوفر لي سرير جيد وسأنام عليه . »
أدار ظهره ومشى نحو البيت الريفي من دون ان يتيح لها اية فرصة اخرى للمناقشة . فلم تر بداً من ان تتبعه . كان بيتاً ريفياً فقيراً . يتألف من غرفة جلوس كالعلبة ، وحمام وغرفة نوم . كانت الجدران قديماً مطلية باللون الازرق ، وقد اصبح لونها رمادياً بتأثير الغبار ، ولمسات الاصابع . اما اغطية السرير فممزقة وقديمة ، ولكنها نظيفة وكأنها غسلت لتوها . وضع جهاز لتكييف الهواء في غرفة النوم . ادارت جاكلين مفتاحه بلا حماسة ظناً منها انه لا يعمل . صدرت زمجرة وببطء دار المحرك وبدأ يعمل ... مطلقاً نفحة من هواء بارد .
قالت مندهشة :«انه يعمل . »
اجاب ماتيو ساخراً :

«تمتعي به قبل ان يتوقف او يقطع تيار الكهرباء في منتصف الليل.» بعدما نقلا حوائجهما من السيارة، اخذ ماتيو مجلته ، واستلقى فوق احد الأسرة وقال لها وهو يشير الى الحمام :«ادخلي اولاً .»

جمعت جاكلين حوائجها ودخلت الحمام . كان الحمام قديماً بنياً وخشناً اذ تركت مياه الاتربة آثارها واضحة عليه . اما حامل الدوش ، فقد كان مزوداً بسطل مليء بالماء كما وجد سطل آخر الى جانب المرحاض مما يشير على ان ماء الصنابير لا يجري . شعرت بالاستياء فهذه اول مرة تأخذ دوشاً بهذه الطريقة بعد يوم متعب . استحمت وارتدت ملابسها وعادت الى الغرفة .

تنهدت بارتياح عندما لفح وجهها نسيم جميل اتى من غرفة النوم . سيتمتعان بجو لطيف ، وبارد اثناء النوم . نام ماتيو بسرعة ومجلته على صدره. اضحكها منظره الذي بدا غريباً . خلعت جاكلين عباءتها ودست نفسها في الفراش . غطت نفسها حتى ذقنها بالغطاء الاول . لن يستطيع ماتيو النوم وهو متسخ لهذا هتفت :

«انهض يا ماتيو لقد انتهيت من الحمام . »

زمجر وجلس ، فسقطت المجلة.

«هل تظنين ان الدوش ضروري الآن ؟ »

«نعم ... ستنعم بنوم هادىء عندما تكون نظيفاً . »

«اعتقد ذلك .» وقف ونظر اليها وهي في السرير .

«اتريدين عشاء ... طعاماً لذيذاً . ديك حبش مع ارز مثلاً ؟ »



«لا . اريد ان انام . »

«هل انت متأكدة من هذا ؟ »

«اجل . »

سحبت الملاءة حول نفسها ، وكأنها درع سيحميها ، كما شعرت برغبة في ضربه . هل يلعب معها ، وهل يظن ان دمه خفيف .

اخذ ماتيو حاجاته ودخل الى الحمام . اغلقت جاكلين عينيها ، وشعرت بارتياح موقت . لم تشعر بالاطمئنان الذي كانت تحلم به . انتظرت باضطراب عودة ماتيو الى الغرفة . زادت ضربات قلبها عندما عاد الى الغرفة يلف منشفة حول وسطه . طويلاً ، قوياً . ذا لون داكن . بدا كفتى الاحلام الذي تتمناه كل امرأة ، اجتاحتها موجة عارمة في ان تدفن وجنتيها في صدره ، وتداعب شعره الاسود الكثيف بأصابعها . تضرجت وجنتاها وقالت :

«كان بامكانك ان ترتدي شيئاً . »

«آسف لاحراجك . لم يخطر في بالي ابداً اننا سنتقاسم الغرفة.»

نظرت الى الاتجاه الآخر ... كيلا يشعر باضطرابها ، لكن جهودها ذهبت سدى اذ انه يفهمها جيداً .

اهتز الفراش عندما جلس ماتيو عليه ثم نظر اليها مبتسماً :« هل تشعرين بالخوف مني ؟»

حاولت ان تجيبه بلهجة عادية ، ولكن صوتها فضح ارتباكها :«خائفة منك ...أنا ... لماذا ؟ »

«لا تتظاهري بأنك لست خائفة . »

نظرت اليه وادهشتها رقة نظراته ، واشياء اخرى

لم تفهمها . شيء ما جعلها ترتجف ، فخفق قلبها بجنون لم تستطع عيناها ان تفارقا وجهه ، ولم تعلم كم مضى من الوقت ، وكلاهما يتأمل الآخر .

وبرقة امسك وجهها بين يديه هامسا :

« انك جميلة ... جميلة بطريقة خاصة . »

ثم انحنى عليها وعانقها بدفء ونعومة . كان هذا آخر ما توقعته . تلاشى غضبها ومقاومتها . وشعرت بقلبها يختلج جاهدا . بدا لها ان العالم قد انهار ، وانها امام حقيقة واحدة لا مفر منها وهي احساسها به . احاطها بذراعيه ... هل هذا ما تريد؟ هل هذا ما تنتظره ؟ ولكنها لم تستطع ان تفكر بهذا في هذه اللحظة ...شيء ما يشغلها .

«جاكي ... جاكي ...» وفجأة ابعدها عنه وذهب الى السرير الآخر . «تصبحين على خير يا جاكي . »

مددت نفسها في الفراش وهي ترتجف . ماذا حدث ... ولماذا تركها هكذا ؟

« ماتيو ...ماتيو. » لا تعلم لماذا نادته ، ولكنه قال :

«نامي يا جاكي نامي . »

لم تجرؤ على الكلام ثانية . كان عقلها مضطرباً ، ولم تستطع ان تهدأ . سمعت انفاسه تملأ الغرفة ، بماذا كان يفكر .. ما هو شعوره الآن ليتها تعلم، لم يكن نائما انها متأكدة من ذلك . داهمها النوم فعانقت احلامها.

وعندما استيقظت سمعت صوته يصفر في الحمام. عاد الى الغرفة وهو يفرك رأسه بمنشفة ، وقال بصوت مجرد ومن دون ان يقصد شيئاً معيناً :



«صباح الخير يا سيدتي الجميلة . كيف نمت ؟ »

« كالقتيلة . »

سألته ضاحكة وكأن هذا اليوم لا يمت الى الايام الاخرى : «ما نوع هذا اليوم . »

«دعيني أخمن ، مشمس ، وحار ومثقل بالرطوبة. الحرارة حوالى خمس وتسعين درجة اذا حالفنا الحظ، ما رأيك ؟ »

«سيء.»

ثم تابع:« ما رأيك بالنهوض من السرير ام تريدين المساعدة؟»

اجابته باستخفاف مثله :

«لا اشكرك . سأنهض عندما تخرج من الغرفة . »

«حاضر . سأخرج لأتكلم مع العصافير . ولكن اسرعي فأنا اتضور جوعا .حبذا لو تأخذين اشياءك معك ، ولو أننا سنعود في المساء .»

تابعا سفرهما حوالى الساعة السابعة . كان الطريق يعج بالحركة فالنساء والبنات يحملن على رؤوسهن أوعية كبيرة مليئة بالماء. لفح وجهها هواء بارد من النافذة . فسرت قشعريرة في جسدها .

«هل تشعرين بالبرد ؟ »

«نعم .» وبدأت باغلاق النافذة ، «ان ما يدهشني حقاً هو كيف ينقلب الطقس فجأة اثناء السفر . لم يمض سوى نهار واحد ، ونحن نسير باتجاه الشمال. ومع هذا فقط غدا الجو بارداً هنا. وقد خفت الرطوبة ايضا.» ضحكت جاكلين وهتفت ، «ايتها الصحراء ها أنذا آتية اليك .»

كان عليهما ان يسافرا مدة يومين آخرين شمالاً كي يصلا الى الصحراء . ان مناخ الصحراء يتميز بالحرارة والجفاف ، والايام الحارة المحرقة والليالي الباردة المتجمدة ،كم تتوق ان ترى الصحراء بشعبها ومدنها ، وان تشاهد الجمال والواحات المليئة بالنخيل .

شعرت جاكلين براحة تامة اذ لم يتكلم ماتيو عن موضوع الليلة الماضية ، بل تجاذبا اطراف الاحاديث العامة والبسيطة بهدوء. مما امدها بالارتياح والطمأنينة . خاصة بعد ان زال معظم التوتر الذي كان سائداً بينهما ، الا ان ذكرى دايانا كانت تقلقها . ولكن يكفيها ما حققته وماتيو من انسجام . لم يذكر ماتيو دايانا قط ،منذ ان غادرت قبل عدة اشهر .ترى هل ما زال يحبها وهل ستعود في يوم ما ؟

لم تزل تصرفات ماتيو تربك جاكلين على الرغم من شعورها بالارتياح . تداعت أفكارها تباعاً . لماذا عانقها اذا كان لا يهتم بها؟ ترى هل اوحى لها خيالها بذلك . ولكن ترى هل تركت لمساتها اثراً في نفس ماتيو ؟ فكرت بحنق لا . يجب الا افكر في هذا الموضوع فانه لا يجدي نفعاً . تحركت في مقعدها ، ونظرت الى الخارج .

تبدل منظر الطبيعة بشكل ملحوظ بعد ان غادرا غانا امس . اختفت الغابات الاستوائية الخضراء في المنطقة الساحلية ، وبدأت الاراضي صفراء جافة. كما اضفت الاكواخ الدائرية الشكل والتي تجمعت قرب بعضها بعضا كآبة وفقراً وجفافاً .



وبعد قليل انعطفت السيارة نحو طريق ترابي ضيق. وبعد ان قطعا ببطء كبير ، وجهد بالغ عدة اميال اخرى ، وصلا الى الساحة حيث وجدا السيد مينيلا في انتظارهما . حياهما وقال بلهجة اميركية بحتة :

«انني مسرور جداً لقدومك يا آنسة دونلي . »

كان يرتدي ثوباً فضفاضاً . لم يستطع هذا الثوب ان يخفي آثار اميركا وكانساس بالذات . قادهما الى منزله المكون من مزيج من الطين حيث قدم لهما اخوه بعض القهوة . انه رائع ...همست جاكلين في اعماقها ، وهي تنظر الى مينيلا . بدا طويلاً وأنيقاً في هذا الثوب الذي تعاكس لونه مع لون بشرته الاسود . تساءلت فيما لو ان مينيلا كان يرتدي هذا الثوب في اميركا.وعندما سألته اجابها قائلاً والسرور يلمع في عينيه :

«كنت ارتديه في فصل الصيف عندما اشعر بالحر . وبالطبع عندما اذهب للحفلات ، فليس هناك وسيلة افضل منه للفت نظر الفتيات . »

أجابت جاكلين ولا تزال مندهشة من الازدواج الحضاري الممزوج داخل هذا الشخص الذي يبدو اميركياً بحتاً ، لكن نظراته لا تخفي انه افريقي الاصل .

« لا شك في هذا . »

عادوا بعد ذلك الى وسط الساحة حيث كانت القرية بأجمعها تنتظرهم بمن فيها رئيس البلد ، والاعيان، وحتى الفرقة الموسيقية المحلية . جلس الرئيس وهو نسخة طبق الأصل مكبرة للسيد مينيلا طويلاً

وانيقاً . جلس على وسادة محشوة فوق منصة فرشت بالجلود ، وجلس الأعيان بأثوابهم الطويلة فوق درجات المنصة . قدمهما مينيلا الى الجميع ، ثم احتلا مكانهما. جلس ماتيو فأدركت انهم يعاملونها معاملة خاصة للترحيب بها. فلولا وجودها معه ، لجلس ماتيو على الاريكة المريحة .

ألقى الرئيس خطاباً بلغته . فترجمه مينيلا لهم . كانت جاكلين تختلس النظرات من حولها بانتباه . جلسوا في ظل منزل الرئيس المؤلف من عدة ابنيه من اللبن بما فيها الابنية التي بدت كأنها مستودعات للقطن . بدت القرية قاحلة ومغبرة ، وخالية من جميع المزروعات عدا بعض الاشجار . أتى دور ماتيو في الحديث ، فحدثهم عن شركته وطريقة عملها . ترجم مينيلا مرة اخرى حديث ماتيو . راقبته جاكلين عن كثب ، فلم تسمعه من قبل وهو يتحدث الى جمهور كبير . فشعرت بمزيد من الاعجاب به ، لما يتمتع به من ثقة بالذات . كان متحدثاً بارعاً ، يختار كلماته بحذر ودقة . وكان واضحاً انه اثار اهتمام الحضور كما اثار اهتمامها . كانت تحب ان تنظر اليه . كان لون قميصه الابيض ذي الكم القصير لا يتناسب مع لون بشرته البرونزي . بدا مطمئناً لحديثه وللموقف جميعه . حتى انه استطاع ان يرمي بعض الطرائف ، ويضحك الجمهور على الرغم من وجود العوائق اللغوية والحضارية . صفق الحضور له كثيراً عندما انهى حديثه . انتهت اجراءات الاستقبال ، وذهب كل شخص لاداء



واجباته اليومية... جلست جاكلين وماتيو مع الرئيس والاعيان ، يناقشون الاعمال بشكل جدي . اخرجت جاكلين دفترها وقلمها، لتدون بعض الملاحظات حول الموضوع . ابتدأ السيد مينيلا حديثه قائلاً :

«لدينا الف هكتار . لقد زرعنا القطن لعدة اعوام متتابعة . لم يعد القطن ينمو بشكل حسن ، لأن الارض لم تعد ملائمة . لهذا تناقشت مع السادة الاعيان والمواطنين للبدء بزراعة فول الصويا . »

« وكيف كانت ردود فعلهم ؟ »

عقد السيد مينيلا ما بين حاجبيه :

«ترددوا في البداية . لأن فول الصويا ليس مألوفاً لديهم . وتساءلوا هل سيكون طعاماً جديداً ؟ واخيراً اقتنعوا بانها فكرة جيدة خاصة لأن القطن لا يؤكل، ولم تعد موارده كافية . »

تكلم ماتيو قائلاً :«قلت ان خيرات الارض استنفدت . ماذا ستفعل من اجل ذلك ؟ » تتابعت الاسئلة واخذت جاكلين تدونها بسرعة .

شعر الجميع بالجوع والعطش ، وانتهى الاجتماع بعد نصف ساعة . دعاهم الرئيس لتناول الطعام في مسكنه . وكذلك المرطبات والقهوة . وعندما انتهى الغداء ذهبوا جميعاً لالقاء نظرة على الأراضي . كانت الشمس محرقة حتى ان الارض بدت لامعة مضيئة. تمشوا بين الصفوف المزروعة بالقطن الهزيل . تألمت من قدميها ، وتبللت ملابسها من كثرة الرطوبة.

انتبهت جاكلين جيداً لحديث السيد مينيلا عندما

تكلم عن خططه. وبعد ساعة لم تعد تسمع شيئاً ، اذ استنفدت حرارة الشمس طاقتها . اما ماتيو فلم ينزعج كثيراً من الحر ، مع ان قميصه كان مبللا بعرقه . ولكنه ما زال يتكلم ويستفهم ويمشي من دون ان يبذل مجهوداً كبيراً فوق الارض العطشى .

استغرق التجوال ساعة اخرى عادوا بعدها الى منزل السيد مينيلا . فقدموا لهم العصير الذي لم يكن بارداً تماماً . وبعد ان استجمعت جاكلين قواها ، طلبت ان تزور عيادة البلدة .

اجابها مينيلا :

«بالتأكيد . وقد تجاوزت الساعة الرابعة ولا بد ان كارول وكوني الممرضتين موجودتان الآن . اما كورت الطبيب الالماني فذهب الى اوغادوغو لبضعة ايام . انه محبوب من الجميع، فهو شاب رائع ، والممرضات لطيفات . اننا محظوظون كثيراً بوجودهم هنا .»

كانت العيادة عبارة عن بناء ابيض مبني في ظل شجرة ضخمة عند احد اطراف القرية . حيث استقبلتهما الممرضتان الاميركيتان بحرارة ، ودعتهما بفخر لمشاهدة العيادة .

كانت الاولى نحيلة وطويلة ، والثانية قصيرة وبدينة. مما جعل منظرهما يثير الضحك . قالت جاكلين في سرها ... ان صداقتهما الحميمة تساعدهما على تحمل الظروف التي تعيشانها . سألتهما كوني الممرضة البدينة :

«هل تنتظران لنقدم الشاي لكما؟»



كان وجهها مليئاً بالنمش ، وعيناها الرماديتان تلمعان ببريق من الأمل .

فأجابها ماتيو :«لا.. نشكرك . لا نستطيع ، علينا ان نعود الى تامال . لا احب قيادة السيارة في الظلام في هذه الطرقات.»

اردفت كارول قائلة :

«لماذا لا تقضيان هذه الليلة هنا ؟ لدينا المزيد من الاسرة .» فأردفت كوني وهي تنظر من ماتيو الى جاكلين وبالعكس :

«رجاء . لدينا علبة دراق من اوغادوغو سنفتحها ونحتفل بوجودكما . »

«دراق! كيف لنا ان نرفض ؟»

صرخت كوني معربة عن فرحها . فتابع ماتيو كلامه قائلاً : «في الحقيقة انها فكرة حسنة ان نبقى هنا ، فلدي المزيد من الاسئلة عن الشعب . »

اشتركت الممرضتان في بيت ريفي من الاسمنت الرمادي ، لم يضف اي بهجة على ما حوله . ادخلا جاكلين وماتيو حقائبهما . نظرت جاكلين بسرور لما رأته من لوحات كبيرة ملونة على الجدران. غصت الرفوف بالكتب ، كما وضعت بعض الالعاب المسلية كالمنوبولي والسكرابل ، في إحدى الزوايا. شاهدت جاكلين بعض الادوات المنقوشة وكرسياً من الجلد ، وبعض الوسائد المغطاة بقماش عادي . مما اضفى على الغرفة جواً مريحاً، وهادئاً حتى ان جاكلين شعرت وكأنها في منزلها . سألتها جاكلين:

«اين يعيش الدكتور؟»

اجابت كارول ، وهي تشير باتجاه بيت آخر في الممر نفسه الذي يتصل بالعيادة :

«في ذلك المنزل .» وتابعت حديثها قائلة:« يستطيع ماتيو في هذه الليلة ان يمكث في منزل الطبيب كورت . لن يعترض كورت . وتستطيع جاكلين ان تنام في السرير المجاورلسريري . » فجأة احمر وجهها ، واستدركت الامر قائلة :« اذا كان هذا يناسبكما ، والا تستطيعان المبيت معاً .»

بدا اضطراب كارول واضحاً فقالت جاكلين :

« لا ، اشكرك انني متيقنة من انه سيشخر . »

نظر ماتيو في وجهها وغمزها بعينه :

« انني لا اشخر ، وانت تعرفين هذا جيداً . »

جاء جوابه محرجا لجاكلين ، فغدا اضطرابها ظاهراً. عندئذ تظاهرت الممرضتان بان لديهما بعض الاعمال . فاتجهت كارول الى المطبخ تهمهم ببعض الكلمات بأنها ستحضر الشاي .

اما كوني فاخذت فناجين القهوة كي تحضر فناجين الشاي . حاولت جاكلين جاهدة ان تجد ما تقول ولكن عبثاً . عبس ماتيو في وجهها بحقد وقال :

«انت التي دفعتني لذلك . سأحمل الامتعة الى غرفة كورت .» ثم سأل كوني :«هل الباب مفتوح ؟ ام لديك المفتاح ؟ »

«انه مفتوح ، اننا لا نقفل اي شيء هنا . لان السرقة محرمة هنا سواء على الزوار اوالمرضى . »

وعندما غادر ماتيو الغرفة ، قالت كوني لجاكلين وعيناها تضحكان بخبث :



«ان كارول محتشمة كثيراً ، تحاول ان تتخلص من هذا الاحتشام، ولكنها لا تستطيع ، الحقي به فلن يهتم احد لهذا . »

هزت جاكلين رأسها وقالت :

«لا . كان ماتيو يحاول ان يضايقني عمداً . اذا كان يتكلم عن ليلة امس فقط اضطررنا ان نتشارك الغرفة اذ حصل خطأ ما . فقد حجزوا لنا مكاناً واحداً . انني مساعدته الادارية وهذه فترة عمل قاسية . هذه هي الحقيقة سواء صدقتها ام لا . »

قهقهت كوني :« انظري الى كارول ونحن نخبرها بما حدث ليلة امس . سيحمر وجهها خجلاً . »

عاد ماتيو وكارول الى الغرفة في اللحظة نفسها فسألها :«اليس لديكم من يحل مكان الطبيب في حال غيابه ؟ »

اجابته كارول :

«لا ، نتدبر الامر بأنفسنا . اما اذا كان الامر صعباً ، فاننا ننقل المريض الى المستشفى في تامال .»

شربوا الشاي ، واكلوا طبقاً من زبدة الفستق المحضرة منزلياً . نظر ماتيو الى جاكلين عبر المائدة ، وفي عينيه لذة الانتصار . ولكنها ضحكت له معربة انها لا تأبه لانتصاره . ولا تهتم لأنها لا تعيش في القرن التاسع عشر . ولا يهمها ايضاً ما قد تظنه الفتاتان بها . صبت لنفسها قدحاً آخر من الشاي وسألتهما :«الا تشعران بالوحدة هنا ؟ فمعظم الناس لا يتكلمون الانكليزية هنا على ما اعتقد . »

اجابت كارول :

«بالتأكيد . ولكننا متفاهمون مع بعضنا بعضاً هنا وهذا ما يساعدنا كثيراً . ان كورت رائع ، واحياناً يأتي بابا الى هنا فنمضي امسيات سعيدة . »

«ومن يكون بابا هذا ؟»

ضحك ماتيو وقال : «انه يروي قصصاً مشوقة لا تصدق . وحديثه شيق كثيرا . »

ثم اضافت كارول :

«اننا نعرف بعض الاشخاص من البعثة الالمانية في تامال . ونذهب معاً في بعض الاحيان ، ونقوم بكثير من المسابقات هنا . بابا يحب لعبة المنوبولي . »

اعجبت جاكلين بالممرضتين ، وبطريقة معيشتهما وصبرهما ، وقدرتهما على التحمل . خاصة انهما تمارسان الطب هنا ، وليس لديهما من الادوات الا القليل ، وهذا ما يؤرق مضجع الاطباء عادة .

وفي صباح اليوم التالي غادر ماتيو وجاكلين القرية محملين بالهدايا ، ارطال من الارز الاسمر ، وديكا حبش يصيحان في مؤخرة السيارة ، وثلاث دزينات من بيض الدجاج الحبشي .

قالت جاكلين :«اني اكره ان آخذ هذه الهدايا . اشعر وكأني اختطفهم من افواه الاطفال .»

«لا يوجد حل آخر . اذا رفضنا اخذ هذه الاشياء ، فكأننا نذل اصحابها ، ونحقرهم بعنف . »

تابع ماتيو وجاكلين مسيرهما واهل القرية جميعاً من نساء واطفال ورجال يهتفون ويلوحون بأيديهم.

صاحت كوني باعلى صوتها :



«سأراكم في اكرا . »

قالت جاكلين لماتيو وهما في طريق العودة :

«لا استطيع يا ماتيو ان اتخيل انني ممرضة في الادغال ، حيث لا اجد مكاناً آخر اذهب اليه ، ولا يوجد اناس اكلمهم الا اولئك المرضى . لا بد اني سأجن حتما . »

«انك تحبين حفلاتك وولائمك اليس كذلك ؟ »

اجابته بغضب :«ليست الولائم والحفلات ما تهمني. اريد ان اخالط الناس . واسر بالعيش بين نماذج مختلفة منهم . اكتشف ماذا عملوا وماذا انجز هؤلاء؟ وأين كان اولئك ؟ »

«ان تعليقي مجرد انتقاد يا جاكي .» هز رأسه ضاحكاً « لماذا يزعج كل منا الآخر دائماً ؟دعينا نتخلص من هذا ؟ »

تعجبت جاكلين من قوله وهمست في سرها :

لقد قال نحن ، ولم يقل انت اذاً انه يشعر ايضاً انه يعنفها بدوره . ان هذه رحلة ممتعة لقد سرت جداً خلالها . وسيبقيان معاً حتى الليل في فندق تامال . داهمها شعور بالزهو عندما تذكرت تلك الليلة في الفندق متذكرة عناقه لها . عنفت نفسها، الافضل لك ان تنسي ذلك ... فنظرت خارجاً كي لا تسرح بأفكارها من جديد .

وصلا الى كوماسي وقضيا ليلة في فندق المدينة ، وفي صباح اليوم التالي تجولت جاكلين في المدينة مدة ساعتين ، بينما ذهب ماتيو ليقضي بعض اعماله . ثم اتجها الى اكرا بعد ظهر ذلك

اليوم . وما ان استقرا حتى باشرا بالعمل . كتبت جاكلين تقريراً عن رحلتهما الى الشمال . حرصت على ان يكون التقرير جيداً لتثبت جدارتها. اصبح عدم ازعاج ماتيو امراً يهمها . انه مسرور بعملها حتى الآن ، لكنه لم يعترف بفعاليتها وجدارتها الا مرة واحدة .

انها ليست مقتنعة ولا تعلم لماذا ؟ انها تتوق لموافقته ويختلج في داخلها تساؤل : هل عليها ان تفعل شيئاً آخر له ، لا علاقة له بالعمل ، شيئاً آخر يفوق تفوقها في عملها .

كانت ذكرى ليلة تامال تداهمها في اوقات غير مناسبة ، تحوم حولها الذكريات مرات ومرات حتى انها تشعر بالضيق احياناً . لقد حقرها مراراً ، وازعجها ، واغضبها ولكن عندما احتضنها بدا وكأنه رجل آخر . عطوف ، ناعم ، محب . لقد ايقظ فيها احاسيس لم تكن تعرفها . لم يعانقها للتسلية . انها لا تصدق ذلك . ولكن لماذا يتركها فجأة اذا كان بدافع الحب ؟ هل تكمن دايانا في اعماقه ؟ اما زال يحبها؟ وان صح ذلك ، فهل يضايقها هذا الاحتمال ؟ اجل انه يؤرقها ، ويقضي مضجعها . لكنها تشعر بالذل كلما تذكرت انها تستسلم للمساته بلا أية مقاومة . انها ترفض ان يكون تأثيره عليها عنيفاً . حتى ولو كان في حاجة الى دايانا .

وفي صباح احد الايام ، وبينما كانت تعمل ، وجدت ماتيو واقفاً امامها في مكتبها :«جاكي . »

نظرت اليه وقد اوقفت عملها تجيبه :« نعم.»



«هل انت مشغولة جداً ؟ اريد ان اتحدث اليك . اريد ان اقول لك شيئاً مهماً . »

«سأنهي عملي خلال دقائق ، وآتي الى مكتبك . »

«حسناً . »

سمعته يتوقف في صالة الاستقبال ، ويطلب قهوة لكلاهما . ثم اخبر سوزي قائلاً :

«لا اريد ان يزعجني احد . »

لم تستطع جاكلين ان تتخيل ما الشيء المهم ، حتماً انه لا يتعلق بالعمل . كما ان العلاقات الشخصية بينهما على ما يرام . وفجأة شعرت ان شيئاً يحطم اعماقها ...

انها دايانا ستعود قريباً . يجب ان يكون الامر كذلك. ان ماتيو سعيد منذ الصباح ، وسيخبرها الآن ان دايانا ستعود ، وانهما سيتزوجان قريباً . لهذا يجب عليها ان تترك مسكنها ، وان تجد مكاناً آخر تسكن فيه . لم يرق لها هذا التفكير ... فقد اصبحت الشقة منزلاً ، ولا تريد تركها . وترفض عودة دايانا . كان عقلها يغلي اضطراباً ، وفجأة شعرت انها مريضة .

## الفصل السادس

كان ماتيو يجلس الى مكتبه عندما دخلت جاكلين غرفته . رأت فنجاني القهوة على المكتب . اخذت احدهما وجلست . ادركت تماماً انه كان يتأملها . سألها : «ما بك ؟ »

« لا شيء . كنت اتساءل ما هي الاخبار المهمة .»

«تشجعي ... انها أخبار جيدة . »

«لك ام لي ؟ »

«لنا معاً . »

لم يكن سؤالها ينم عن ذكاء ، ولكن لم يكن لديها سواه . سألها : «بماذا تفكرين ؟»

هزت كتفيها وقالت :

«كنت اخشى ان تكون الأخبار سيئة . ربما ارتكبت خطأ ما ، او شيئاً لا اعرفه . لا أعلم ، لا بأس حدثني عن الاخبار العظيمة . »

دفع كرسيه للخلف وقال :

«ما رأيك في ترقية ؟ »

«ترقية لي أنا ! اجابت مندهشة فقد كان هذا آخر ما توقعته .

«نعم لك . لا تحلمي بالكثير . انها ترقية صغيرة . »

ترقية كم تحب ذلك ! ولكن هل يعتبر ماتيو الترقية اخباراً مهمة . كان شعورها بالراحة يفوق سعادتها. فقد فكرت بأشياء سيئة للغاية .

«ولماذا تعتبر هذه الاخبار سارة لك ؟ »



«لأنك ستتسلمين عملاً آخر بعد ترقيتك . أريد ان تهتمي في تقييم المراحل الأولى للمشروع ، هل تذكرين التقرير الذي كتبته عن زيارتنا لقرية مينيلا؟»

«بالتأكيد . »

«كان تقريراً ممتازاً . ان اسلوبك جيد جداً . فقد تبين ان لديك نظرة ثاقبة وواضحة لتفهم المشاكل والظروف المحيطة بالمشاريع، وبدا هذا واضحاً من طريقة عرضك للموضوع .» انحنى قليلاً للأمام ، ونظر اليها عن كثب وتابع:« لقد جعلني هذا التقرير اثق بحكمك للأمور ، واريدك من الآن فصاعداً ان تحددي جميع متطلبات المشاريع الجديدة . اجيبي على البريد ، وقابلي الاشخاص الذين يأتون الى المكتب لأخذ المعلومات .» حرك قهوته وابتسم «تبدين مرتبكة قليلاً . »»

«اجل ! لست متمرنة على تطوير المشاريع . »

«ليست المراحل الأولى معقدة . كما ان لديك كشوفاً كافية . وكما قلت لك انني واثق من محاكمتك للأمور. »

«انني ... انني سعيدة جداً . ولكن اخبرني ماذا علي ان افعل ؟ »

«ان الشق الأول بسيط تتسلمين رسائل من اشخاص يطلبون فيها ثمن محراث لزراعة الذرة في أرضهم. تكتبين رسالة اعتذار لبقة بأننا لا نعطي المال ،وتعرضين فيها خدمات ميكانيكية وفنية فقط . قد تتلقين رسالة تطلب انشاء معمل للسكر ، فمصانع

السكر شائعة هذه الايام . ولكننا لا نهتم بهذا وفق مقاييسنا . اذ ان السكر ليس غذاء مهماً فهو يعطي الجسم سعرات حرارية خالية من المواد الغذائية ، ولا يفيد الصحة . طبعاً لا تهتمي بهذه الرسالة . »

أخرج رسالة من ملفه ، وقال لها :

«اعتبري انك تجرين فحصاً الآن . ان السيد دونكر يطلب مساعدة لزراعة مكسرات الكاشو، ولديه مؤهلات ممتازة كالأرض وبعض المال . فما رأيك؟»

«لا يصلح . »

أجابها والدهشة في عينيه :

«ولماذا لا يصلح ! ان الكاشو مصدر للبروتين . »

«اعتقد انه مصدر للعملات الاجنبية . لأن الكاشو لا يستعمل للاستهلاك المحلي . سيصدرون الانتاج ، وستجده متصدراً على موائد الحفلات في لندن . »

«تفكير سليم . ظننت انني سأوقعك في الفخ هذه المرة.» فتح الملف وامسك بعض الاوراق.« في كل حال هناك العديد من المشاريع الجديدة كفول الصويا واللوبياء واطعمة جاهزة للرضع المفطومين. ادرسي هذه المواضيع ، واخبريني رأيك . »

سألته بدورها :

«وماذا افعل بالمشاريع التي اوافق عليها ؟ »

«هذه هي الخطوة الثانية . قومي ببعض الأبحاث عن الموضوع . انظري ان كان قد جرب ام لا . »

اعطاها تفصيلات أخرى ، فشعرت جاكلين ان موجة من القلق المشوب بالفرح تنتابها ، غيرت



جلستها ، وضمت يديها وكأنها تعانق نفسها :

«يبدو ان الأمر ممتع للغاية . أتمنى ان أشارك في الاعمال الفعلية للمشاريع . »

تأمل وجهها طويلاً . كانت نظراته دافئة وممزوجة بشيء لم تستطع تفسيره . لقد شاهدت تلك النظرات من قبل في تلك الليلة في تامال .

تدافعت الذكريات أمامها سريعة ، وبوضوع منذر بالخطر . شعرت برغبة عارمة في عناقه مرة اخرى، نظرت اليه ، وأيقنت بجنون انه يفكر ايضاً في عناقها وفي تلك اللحظة . خفق قلبها... التقت نظراتهما لمدة طويلة ، ثم نظر الى الاوراق التي على مكتبه وقال :

«الخطوة الثانية هي ...»

تابع كلامه بصوت هادىء وغير متقطع . استجمعت جاكلين قواها ، وركزت ذهنها على حديثه . عادت بعد لحظات الى غرفتها ، وشعرت بموجة من السرور والفرح . ان عملها الجديد يدل على ان ماتيو أصبح واثقاً بها ولهذا عهد اليها بمسؤوليات جديدة . وهذا ما يهمها كثيراً ولكنها تريد شيئاً آخر أدركته في تلك اللحظة ، عندما نظر اليها نظرة غريبة لاحت في عينيه .

جلست جاكلين الى مكتبها ، ووضعت وجهها بين يديها . لا تفعلي هذا بنفسك همست في اعماقها . لا تجعلي من الحبة قبة . لا تتخيلي شيئاً لم يكن .

وبعد أن استطاعت ان تبعد كل الافكار الأخرى عن ذهنها ، اخذت تركز اهتمامها على عملها .

وفي مساء ذاك اليوم ، رن جرس الهاتف وما ان رفعت

السماعة حتى سمعت صوت ديفيد عبر الاسلاك، لم تشاهده بعد عودتها من الشمال فقد كان في واشنطن:

«آلو ديفيد !»

«كيف حالك يا جاكي ؟ ما رأيك في ان نتناول العشاء معاً الليلة ؟ »

«اتمنى من اعماقي . وسأدفع الحساب . إذ نلت اليوم ترقية . »

«وكيف حصل هذا ؟ ان هذا كثير لفتاة مدرسة لا تؤخذ مأخذ الجد.»

ضحكت جاكلين قائلة :

«سأخبرك المزيد في المساء. »

كانت الوجبة هادئة في مطعم شاطىء النخيل ، وبعد العشاء تمشيا فوق رمال الشاطىء . يحملان احذيتهما بأيديهما ، يتكلمان ويضحكان . كانت الرمال المبللة باردة تحت اقدامهما العارية .

خيم الصمت لبرهة ، فتمشيا وهما ينصتان الى الاصوات الصادرة عن البحر . كان الشاطىء هادئا وخالياً من الناس . أحبت جاكلين الوحدة ، وفرحت لعدم ظهور الناس ، والحر ، والضجة وهي المعالم الرئيسية للحياة في اوكرا . وفجأة قطع ديفيد الصمت وقال : «لنجلس ...»

رمى نفسه على الرمال وجذبها اليه . داعب نسيم لطيف وجنتيها ، ورفع ديفيد خصلة من شعرها خلف أذنها .

«ان شعرك ينسدل بنعومة ، فلماذا لا تتركينه يتدلى



على كتفيك ؟ »امتزج صوته بنبرة غريبة . شعرت جاكلين باحساس غريب لم تستطع تحديده .

«ديفيد ! »

«لا تتكلمي . »

احاطها بيديه وعانقها .

«لا يا ديفيد . رجاء .»

قبلها وهمس في أذنها :

«أنني اريدك يا جاكي . »

اقشعر جسمها ، وقالت متوسلة :

«أرجوك يا ديفيد ... لا ...»

«ما الأمر ؟ »

«لا استطيع ... انني لا استطيع . »

ابتعدت عنه ، وهي تشعر بالحزن ، كادت دموعها ان تنهمر . لا انها لا تريد هذا ! ولم تطلب ذلك ! قال لها بصوت متزن وهادىء:

«تعالي هنا يا جاكي ... لماذا هذا الخوف ؟ »

غطت وجهها بيديها وقالت :

«اني آسفة يا ديفيد . لا اريد ان تكون جاداً في طلبي... اني لا أريد ان أزعجك . »

فقال بلهجة قاطعة :

«انك لا تحبينني يا جاكي ! »

«ليس الامر كذلك . »

«تعالي هنا يا جاكي .» أمسك بيدها ، «دعينا نتكلم عن هذا الموضوع.» اقتربت منه ، فوضع يده على كتفها برقة وقال :

«النقطة الأولى : انك صديقتي يا جاكي . وأحب ان

أكون معك اننا نستمتع بأوقاتنا وأحاديثنا معاً، انك تتمتعين بالعقل والاحساسس كأي انسان آخر. النقطة الثانية : وبالاضافة الى انك انسانة ، فانك امرأة بكل معنى الكلمة .» توقف عن الكلام ونظر اليها ، «كما اني شاب طبيعي كباقي الشبان . وسيكون الأمر شاذاً اذا لم اعجب بك .» هز رأسه وهو يبتسم لها . كانت عيناه مندهشتين مما اشعرها انها فتاة صغيرة وسخيفة .

«هل تسخر مني يا ديفيد ؟»

« ما زلت صغيرة ...صغيرة ، لا تقلقي لهذا الشأن ، ولا تفكري فيه كثيراً . ستتفجر مشاعرك ذات يوم ، وعندها ستدركين ما تجهلينه الآن .»

التقط حذاءه وهزه ليزيل الرمل عنه وقال :

«سأبقى صديقك في الوقت الحاضر اذا كنت ترغبين في ذلك لأتمتع بصحبتك الممتازة . »

دلت ضحكتها الصادرة من أعماقها عن زوال قلقها وقالت :

«انك يا ديفيد صديق بكل ما في الكلمة من معنى .»

انه لا يريد ان يسيء اليها ، ولكنها لم تستطع ان تتخلص من الشعور بالذنب ، لأنها رفضته ، وانما لأنها لا تكن له الا عاطفة الصداقة الأخوية . وشعورها بذلك واضح . عادا الى السيارة ، وتعثرا بالرمال ، وبدأت تتساءل ترى : هل احبها ديفيد ؟ لم يشر الى حبه لها . وكانت تعتقد ان عاطفة الصداقة بينهما متبادلة لماذا لا يكون الأمر بهذه البساطة ؟ وعندما عادت الى المنزل . لم تر سيارة ماتيو في



مكانها المعتاد . فعلمت انه ذهب الى النادي حيث يقضي معظم أوقات فراغه يسبح ، او يمارس احدى هواياته الرياضية .

دخلت الى المنزل واستعدت للنوم . كانت بعض حبات الرمال ما زالت عالقة على ملابسها ، وشعرها وحتى على جلدها . لن تتخلص منه الا اذا استحمت . تداعت الأفكار في ذهنها تباعاً ، فلم تستطع ان تنام. كانت تفكر بديفيد وماتيو معاً . ليتها تحب ديفيد... لماذا لا تحبه ؟ انه لطيف ، وصديق مخلص ، ولكن للأسف لم يحرك مشاعرها الدفينة . لكن ماتيو ايقظ مشاعرها ولا تستطيع انكار ذلك . ترى هل كان انسجامهما انسجاماً فيزيائياً ام طبخة كيميائية صحيحة ؟ ام ان عواطفها تحركت؟ ترى هل هذا ما يسمونه الحب ؟

نامت على بطنها تضغط وجهها بالوسادة . كان الصداع يؤلمها وعيناها ايضاً . الحب ... ما هو الحب؟ هل ستعرفه في يوم من الايام ؟

لم تشعر جاكلين بتحسن ، الصداع ما زال يزعجها، فنهضت من سريرها لتأخذ بعض الاسبرين . لم تجد اية حبة . فقد نسيت اين وضعت الزجاجة عندما استعملتها آخر مرة . قد تجد بعضاً منها في حمام ماتيو . لكنها لا تحب ان تتجسس على مكانه الخاص الا انها في حاجة ماسة لبعض الاسبرين ، والا لن تنام الليلة من شدة الصداع .

ذهبت الى حمامه ، فلم تجد اياً من الأسبرين لا في علبة الأدوية ولا في مكان آخر من الحمام . ان

هذا مضحك . وبينما كانت تقف في الرواق ، سمعت صوت الباب الأمامي يفتح . دخلت غرفة الجلوس في اللحظة نفسها التي دخل ماتيو الغرفة ، مرتدياً بنطالاً قصيراً ، مع قميص ابيض حاملاً مضرب الكرة . ارتبكت جاكلين كثيراً ، ونظرت اليه بقلق وقالت :«كنت ... كنت أبحث عن حبوب الاسبرين ، ولم اجد اياً منها. »

نزل شعرها على عينيها فرفعته بعصبية الى الخلف.

«بحثت في حمامك ولم أجد شيئاً . آمل الا اكون قد ازعجتك .»

«انني لا احتفظ بالأسرار في حمامي . وأعتقد ان الاسبرين في المطبخ . لقد اخذت منه أمس وتركته هناك . اجلسي سأحضره لك.»

سمعت صوت الثلاجة يفتح ، فعلمت ان ماتيو يصب لها كأساً من الماء المثلج . عاد الى الغرفة وناولها حبتين منه وكأس الماء .

«صداع ؟»

هزت رأسها موافقة . وبلعت الأسبرين مع الماء . لم تبعد نظراتها عنه . اذ بدا جميلاً في ملابس الرياضة. بدا شعره اشعث ، فانتابتها موجة جنون عارمة ان تخلل أصابعها في هذا الشعر الكثيف . التقطت عيناه نظراتها . وقال :

«هل هناك شيء آخر ؟» وضع يده على جبينها فارتعشت فجأة . عقد ما بين حاجبيه، « هل تأخذين الدواء المضاد للملاريا ؟ »

«نعم . طبعاً . »



«هل حرارتك مرتفعة ؟»

«لا ، لدي صداع فقط .»

أثار اهتمامه بها اضطرابها . ضحك ضحكة هزيلة وقال:«اريد ان اتأكد فاني لا أستطيع احتمال مرض مساعدتي الادارية! كما تعلمين . »

أزعجها تعليقه لبرهة . اذا كان مقدراً لها ان تمرض، فسيحصل هذا شاء ام أبى . قد يستطيع المكتب ان يمارس أعماله لعدة أيام من دون حضورها اذا كان هذا ما يخشاه . نهضت وهي تشد ثوبها حول نفسها. وضعت شعرها خلف كتفها وقالت :

«يحسن بي ان اذهب للنوم . أشكرك من أجل الأسبرين .»

شعرت بارتياح في صباح اليوم التالي . وعندما دخلت غرفة الجلوس لتناول وجبة الافطار ، وجدت ماتيو يقرأ جريدة الصباح. رفع رأسه وقال:

«صباح الخير .. ما أخبار الصداع ؟»

«لقد زال . اشكرك . »

ذهبت جاكلين لتحضر فنجاناً من القهوة ، فحيت كريسي الذي كان يقلي بيضاً ويحمص الخبز . كان الطقس غائماً منذراً بالمطر . أدارت مفتاح الضوء قائلة : «ان المطبخ مظلم . »

اجابها كريسي :«اجل ستهطل الامطار . »

انقضى الصباح بسرعة ، وانتهت التقارير المالية في موعدها المحدد لأن الطريقة التي اتبعتها كانت فعالة .

وبعد الغداء بدأت قراءة تقرير عن مزارع الماعز ،

عندما هبت رياح عاصفة من النافذة المفتوحة ، فبعثرت جميع الاوراق على الارض . ثم صفع باب وتلاه الآخر . اغلقت النافذة ، ووقفت صامتة لمدة وهي تتأمل أشجار جوز الهند المتمايلة مع الهواء. كان الهواء منذراً بالعاصفة حيث كان يشتد في كل ثانية . حل الظلام في الغرفة ، فاضطرت ان تدير مفتاح الضوء . ستنقشع الغيوم سريعاً ، وتهطل الأمطار ، ورائحة الأرض المبللة بمياه المطر ، وحفيف الأشجار الندية .

وبعد ان جمعت أوراقها ، جلست لتنسقها من جديد . قرعت سوزي الباب ، وأدخلت لها فنجاناً من القهوة. كان الفنجان يقعقع فوق صحنه مما يدل على ان الفتاة ترتجف . فسألتها جاكلين :

«هل تخافين المطر يا سوزي ! »

«لا ...لا ...لا أعلم ماذا جرى للسيد سيمونز .»

سألتها جاكلين : «ماذا حدث ؟ ماذا تقصدين !»

قالت سوزي :«سلمته بريده منذ لحظات ، وبدا سعيداً وطلب فنجان قهوة . وعندما أحضرته اليه ...» حملقت عيناها وبنظرات قلقة تابعت:« لم يكن على ما يرام يا آنسة دونلي . »

هرعت جاكلين الى الباب قبل ان تفكر ماذا ستفعل قرعت بلطف باب مكتبه الذي كان مفتوحاً قليلاً ودخلت . لم ينظر اليها، وهالها منظر ماتيو مرمياً على الكرسي ، وكأنه بالون متلاشي ، وعندما حاولت ان تقترب منه ، شعرت كأن ساقيها من المطاط تتحركان ببطء ، وسألته :



«هل من شيء يا ماتيو ؟ »

كان يحملق في بعض الأوراق التي أمامه . نظر اليها بهدوء ، وبوجه رمادي وعينين ممتلئتين باحساس مبهم وداكن . أجابها :

«لن يكون أي خطأ بعد الآن . لقد توضح كل شيء . أصبح الأمر واضحاً تماماً .»

جفلت جاكلين لدى سماع صوته الحزين . راقبته وهو يجمع أوراقه ، ويضعها في حقيبته ، ثم دفع كرسيه الى الخلف بعصبية ونهض .

«عفواً ! اعذريني . »

وتخاطاها الى الباب وخرج . تسمرت في مكانها. هل حدث مكروه له ؟ لم تعرف كيف تتصرف . سمعت صوت سيارته ينطلق فوق الطريق الممفروشة بالحصى . وهطل المطر بعد لحظة. فشعرت بقشعريرة في جسدها ، وتملكها احساس بالخوف لا فكرة لديها عما تكلم او أين ذهب . عادت الى اوراقها ، فوجدت قهوتها دافئة . دخلت سوزي الغرفة وعلى وجهها تعبير مروع وسألتها:

«هل هو بخير ؟ »

فأجابتها جاكلين :«لا اعلم يا سوزي ، اعتقد انه ذهب الى منزله لاسيما ان الطقس رديء للغاية . »

استمر المطر بالهطول وقد اشاعت الرطوبة في الجو كآبة وذبولاً . شعرت جاكلين بالاضطراب والعصبية، فلم تنجز شيئاً من عملها طوال فترة بعد الظهر. وعندما أشارت الساعة الى الخامسة مساء ، كان المطر لا يزال يهطل ، قادت جاكلين سوزي وسامسون

الى منزليهما كي لا يتبللا بالمطر ، وهما ينتظران الباص. كان المنزل مهجوراً عندما عادت اليه ، فقد كان كريسي يستمتع بعطلته الاسبوعية ، وماتيو خارج المنزل . اين ذهب يا ترى في هذا الطقس الرديء جداً ؟ لماذا تقلق عليه وهو قادر على الاهتمام بنفسه ؟ أعدت وجبة مما كان في الثلاجة. وعندما أشارت الساعة السابعة مساء ، ولم يأت تساءلت ان كان عليها ان تنتظره. وبعد لحظات اشتد هطول المطر وأصبح المنزل كئيباً وموحشاً . اعترتها هواجس مختلفة ، أخذت تتزايد ساعة بعد أخرى . شيء ما قد حدث له ؟ حادث سيارة مثلاً ؟ يجب ان تخبر أحداً بذلك . من ؟ديفيد .

وعندما سمعت صوت ديفيد يجيب على الهاتف قالت:«انني مسرورة لأنك في المنزل .»

«لماذا ؟ هل حدث مكروه ما ؟ »

أجابته بقلق:«اجل انه يتعلق بماتيو . فقد ذهب ولم يعد ولا أعلم اين هو ؟ »

أخبرته عما حدث ولكن ديفيد ضحك وأجابها :

«تبدين يا جاكلين كزوجة قلقة . استرخي . يستطيع الاهتمام بنفسه . »

«حاولت ... حاولت من دون جدوى . لا اعلم لماذا ... كانت حالته سيئة جداً عندما غادر المكتب . »

ساد الصمت فترة طويلة ثم أتى صوت ديفيد :

«حسناً يا جاكي سأبحث عنه . »

«آه ، ديفيد أشكرك . »

وأخيراً توقف هطول المطر ، فداهمت المنطقة أعداد



غفيرة من الذباب . حشرات غريبة تشبه الفراشات المجنحة تطير على النوافذ .

وما ان تجاوزت الساعة الحادية عشر ليلاً حتى رنّ جرس الهاتف.

سألها ديفيد:« هل كنت نائمة؟»

اجابته بصوت متقطع :«لا . »

«لم اعتقد ذلك . انه في طريقه الى المنزل . سيصل حالاً . »

تنفست الصعداء وسألته :«اين كان يا ترى؟»

«لا ادري أين امضى فترة بعد الظهر . ولكنه أتى الى هنا بعد ان أغلقت الخط مباشرة يا جاكي . جلس عندي طوال السهرة ، يتناول بعض المرطبات ، فلم استطع أن أخابرك . لأنه كان الى جانبي .»

«معك حق يا ديفيد . اني أقدر الموقف ... هل اكثر من تناول المرطبات ؟ »

«لا .. لا ... قليلاً . لقد أجبرته ألا يقود سيارته بنفسه وأرسلت كوفي معه وسيعود بسيارة أجرة . »

«كوفي المشرف على منزلك أليس كذلك ؟ معذرة فقد نسيت هذا، لأني لا استطيع جمع شتات أفكاري هذه الليلة . »

فأجابها ساخراً : «لقد وجدت النعجة الضالة ، بامكانك ان تنامي الليلة . »

سمعت صرير البوابة ، ثم صوت العجلات على الطريق المفروشة بالحصى .

«انه هنا لقد وصل . من الأفضل ان ننهي المكالمة .» فقال ديفيد :«اطلبيني عندما تريدين . اتفقنا . »

«نعم سأفعل . أشكرك جداً . »
قفز قلبها بين اضلعها . عندما راقبت ماتيو وهو يدخل من الباب، بدا وجهه رمادياً ومنهكاً ، ونظراته مبهمة وداكنة . قال:
«على الفتيات ان يكن في أسرتهن في هذه الساعة المتأخرة من الليل . »
«لم استطع النوم ، فهذه الضفادع تصدر أصواتاً مزعجة للغاية . »
انهار فوق المقعد الوثير .
«تعالي يا جاكي ، واجلسي الى جانبي . يجب ان نتكلم ، لم نتكلم ابداً معاً . اننا دائماً نتخاصم . »
ردت عليه :
«لم نتخاصم منذ عدة اسابيع . لقد أوقفنا العداء . كنت في طريقي الى المطبخ كي أصنع قهوة . هل تريد فنجاناً ؟ »
نظر اليها بملل وقال :«أجل . »
مضت جاكلين الى المطبخ ، وهي ترتجف كالورقة . انه جنون . قعقعت الفناجين في يدها ووقعت الملعقة أرضاً .
قال ماتيو وهو يأخذ فنجانه :
«ان ديفيد شاب من الطبقة الارستقراطية . انك محظوظة يا جاكي . »
عضت شفتها لتكبح غضبها وقالت :
«ان ديفيد صديق ودود . عرفته منذ زمن مضى . »
أجاب من دون ان يفصح عما يريد .
«الصداقة القديمة شيء جيد . »



لم تسعفها الكلمات . فجلست أمامه ترشف قهوتها. بدا كل شيء من حولهما ساكناً لبرهة لولا نقيق الضفادع المستمر في الخارج. كان ماتيو مشغولاً بأفكاره يتداولها في سره وهو يحملق في فنجان قهوته . أحاطت جاكلين فنجانها بأصابعها القوية وهي تشعر بالاحباط . ليت لديها ما تقول . ليتها تعلم كيف ستمزق هذا الجمود ، وتصل الى أعماقه، لتساعده أو تفعل أي شيء من أجله . ولكن ليست لديها أية فكرة عما اعتراه . وفجأة نهض من مكانه قائلاً :«أريد ان أريك شيئاً تعالي.»
جذبها من يدها وقادها الى غرفة نومه التي لم تدخلها حتى ذلك الوقت . كانت واسعة ، ولها أرضية خشبية كباقي انحاء المنزل . وضع السرير الكبير المغطى بالقماش الملون ، الباهظ الثمن في احد أطراف الغرفة . مشى ماتيو الى خزانة صغيرة وأخرج شيئاً من الدرج ناولها اياه قائلاً :
«من هذه يا ترى ؟ »
كانت صورة لفتاة على الشاطىء ، امام أشجار جوز الهند في ثوب السباحة الأسود جميلة وطويلة جداً، لها أطراف نحيلة ، وكتل من الشعر الأحمر تتدلى على كتفيها بشكل لفائف كثيفة . شعرت جاكلين بجفاف في حنجرتها، بلعت لعابها وقالت :
«انها ... انها ... انها خطيبتك .»
بدت ضحكته قصيرة ومريرة .«خطيبة ؟ هذا ما ظننته ؟ بل هذا ما ظنه الجميع . »
«لا افهم ما تعنيه يا ماتيو . »

أتى صوتها غريباً ومنخفضاً وكأنها تهمس ذلك لنفسها . أجابها بضحكة مريرة :

«لم تفكر ابداً ان تتزوجني . كما تعلمين ...لم تفكر ابداً . »

وضحك ثانية بصوت بارد وحزين . تمنت لو انه توقف عن الضحك فقد آلمتها المرارة الصادرة من أعماقه . مشى ماتيو الى السرير ، وتهاوى عليه ، وهو يخلع حذاءه . قال وهو يحملق في السقف بجمود :

«لم تقرر ابداً ان تتزوجني . »



## الفصل السابع

تأملت جاكلين الصورة بدقة ، ثم وضعتها على الخزانة الصغيرة محاولة أن تجد ما تقول . كان ماتيو مستلقياً على سريره يراقبها . ناداها ضاحكاً:

«تعالي الى هنا يا جاكي . لا تقفي هكذا . »

لم تستطع تحريك قدميها، ولم تستطع ان تنظر اليه. بدا كشخص غريب الآن . تملكها شعور لم تستطع إدراكه ، ترى هل هو الغضب ؟ ام الاسف ؟ ام الحزن ؟ لم تكن متأكدة من ذلك . لاحظ ماتيو ترددها ، فربت بيده على الفراش وقال:

«تعالي اجلسي هنا ... لا تخشي شيئاً .»

جلست على حافة السرير ترتجف ، جاء صوت ماتيو قاطعاً حبل الصمت :

«كانت دايانا عارضة أزياء . هل علمت هذا ؟»

اجابته بصوت هامس وكأنها لا تريد التحدث عنها ، ولا الاستماع الى رأيه فيها :

«نعم .»

«كانت جميلة ، وناجحة جداً . تعرفت عليها في كينيا . هل زرت كينيا من قبل ؟ »

«لا .»

تمنت ان ينهي الحديث عنها . أرادت ان تنهض ، وتمضي لشأنها . ولكن شيئاً ما كان يشدها الى غرفته وكأنها لا صقة بالسرير .

«ذهبت دايانا الى كينيا في رحلة عمل ، حيث كانت

www.elromancia.com

تقوم بعرض نماذج من ملابس الصيف الجديدة . أرادو ان يصوروها في بلاد مشرقة حيث تتجول الفيلة والأسود في خلفيات المشهد . »

لم تتفوه جاكلين بكلمة ، ولم يكن لديها ما تقول ، بل كانت تحس بعصبية قماش غطاء السرير الملون المفتول باليد ، وعيناها مأخوذتان بألوانه الزاهية البرتقالي والأزرق والأخضر . جذبها صوت ماتيو يقول:

«طبعاً لم أدرك ان أفكاري تختلف عن أفكارها في ذلك الوقت . كنت احب ذاك الشعر الأحمر ولم أر سواها...» ضحك بمرارة وتابع:« أما هي فقد وقعت في غرام سيارتي اللاندروفر . كانت لديها أفكار جنونية تتعلق بنمط معيشتي . ظناً منها أنني احد الصيادين المتألقين البيض . »

همست جاكلين في سرها ألا يدرك وبسهولة انه يبدو كأحد الصيادين البيض بجسمه القوي المحروق بأشعة الشمس ، وبوجهه المربع الصارم وعينيه السوداوين اللتين تعكسان مسحة من الغرور والتعالي؟! لم يبق الا أن يرتدي ثياب الصيادين ، ويركب سيارته اللاندروفر حتى يغدو المشهد عندئذ حقيقة . لكن جاكلين متأكدة أن عمله في كينيا تطلب منه كل أوقاته بمزيد من الجهد والعناء فأنى له الفرصة المناسبة ليمارس هواية الصيد. ألم تدرك دايانا هذا يا ترى ؟

وفجأة تابع ماتيو:

«لم يكن الأمر سيئاً في البداية فنيروبي مدينة زاخرة



بكل متطلبات الحياة . استطاعت دايانا ان تقوم بأشياء كثيرة من دون ملل . ثم اتت الى هنا. هل تستطيعين تخيل فتاة مثلها في هذا المكان ؟ تصوري أنها لم تجد احمر الشفاه المناسب ، فكرهت المدينة هنا وكرهتني لأنني لم أحقق لها آمالها . كانت تنتمي الى نيويورك بكامل تدفقه الحضاري .» حرك رأسه ، ولم ينظر الى جاكلين ، وكأنه قد نسي وجودها على الاطلاق ، واردف:

« أما هنا فلا شيء ينتمي اليها . وفجأة ضحك ببرود وتابع بصوت ينم عن احتقاره لنفسه : «أردت ان اتزوجها ... فتاة بتلك الاوصاف . كم كنت مغفلاً . قالت انها لا تؤمن بالزواج وخاصة الزواج التقليدي المرتبط بالجذور القديمة من عقد وتسجيل وغير ذلك. ثم قالت انني رجل تقليدي وأنظر هكذا للحياة . وكالمغفلين أقنعت نفسي انها ستبدل رأيها وتعود الي.» حملق في جاكلين وسألها:« ترى هل تقبلين أنت الزواج مني؟»

خفق قلبها بشدة وقالت :« ماتيو ... انا ...»

فقاطعها قائلاً:« ان اشياء كثيرة تلائمك هنا اكثر من دايانا . أنت تحبين هذا المكان ولا تخافين من الزواحف . تأكلين الطعام ، ولا تصرخين مزمجرة لعدم توفر بعض الاشياء . ولا تتذمرين من نقص الخدم ، ولا تشكين الملل . ولديك كتاب يعلمك كيف تصنعين سائلاً للجلي وتهتمين بعملك .» حملق في السقف وأضاف:

« لم تهتم دايانا يوماً بعملي ، بل كانت تسخر

مني وتطلق علي اسم ماتيو منقذ العالم.»
كانت عينا جاكلين متعلقتين بثنايا وجهه الى جانب فمه ، وبشفتيه المعبرتين عن يأس مريع ، فاعتراها حزن عميق مؤلم ، ونظرت في أرجاء الغرفة تتفحصها ، ولكنها في الحقيقة لم تر شيئاً . التزم ماتيو الصمت ، وعندما نظرت اليه ثانية كان مطبق الأجفان . فظنت انه نائم ، وعندما حاولت ان تنهض، أمسك بيدها وسحبها الى جانبه . احاطها بذراعيه ، وتلعثمت كلماته وهو نصف نائم وقال:
« لا تذهبي يا جاكي رجاء ابقي معي . »
كان رأسها يدور ، والدماء تغلي في عروقها حتى سمعتها بأذنيها، وغدا صوتها أعلى من نقيق الضفادع في الخارج . كانت تخشى ضخامته ، وفجأة اعترتها رغبة جامحة في أن تلصق وجهها بوجهه ، وان تبقى معه حتى الصباح . أخافها هذا الشعور ، فأدارت وجهها الى الجانب الآخر .
لا شك أنني مجنونة ... لا شك انني فقدت عقلي . وعندما نام نوماً عميقاً مسترخياً ... ترك يدها ، فانسحبت في هدوء ، وعادت الى غرفتها .
كان الصباح براقاً ، ومنعشاً وحاراً كثيراً . اتى ماتيو لتناول الافطار كعادته واثقاً من نفسه وقال:«يجب ان اعتذر عما بدر مني بالأمس يا جاكلين . فلم يكن من عادتي ان افقد توازني لأي سبب . »
اجابته بهدوء : «اعلم هذا . »
تأملها لبرهة بعينين باردتين وأردف:
«اني واثق من انك تعلمين ذلك .»



لم يكتف بهذا القدر من الاعتذار اللطيف بل تابع حديثه :«آسف كنت مزعجاً امس . »
ردت جاكلين :«لم تكن غير متزن ، ولم تكن مزعجاً . ولكن طرأ عليك تغيير بسيط . »
«لست واثقاً بما حدثتك أمس . ولكني مستعد ان أسرد لك الحقائق الآن . »
عضت جاكلين شفتها ونظرت الى طبقها وقالت :
«لا ارجوك . لا تفعل . لست مضطراً ان تشرح لي أي شيء ... انسى ما حدث . »
شعر ماتيو باضطرابها ... ولاح شبح ابتسامة على فمه وهو ينظر اليها . ثم أردف :
«هل كان ما قلته سيئاً للغاية ؟ »
«لا على الاطلاق ... ولكن ...»
«اذاً ... ما الأمر ؟ »
فكرت لحظة كيف تترجم شعورها الى كلمات ؟ قد تكون الصراحة المطلقة أسهل وأفضل طريقة للتعبير فقالت :
« طلبت مني ان أبقى في غرفتك ، وحدثتني عن أشياء لا تخصني ، كنت مسترسلاً في سرد الأخبار ، فلم أوفق في ان اجعلك تلتزم الصمت . »
«حسناً .» شرب قهوته وقال : «لنبسط الامور اذاً لقد اخبرتك انني اجتمعت بدايانا في كينيا قبل قدومي الى هنا بوقت قصير ، وأردت ان اتزوجها . كان لديها اتجاه آخر . عاشت معي لفترة ، ولكنها لم تحتمل العيش هنا . لهذا سافرت . لقد تسلمت منها بالامس رسالة ، تخبرني انها لن تعود ، وان علاقتنا

قد انتهت. لقد انتقدت في معرض رسالتها طريقة معيشتي وأفكاري ، لا بل لم تنتقد فقط بل شرحت ما عندها مما أفقدني توازني . لا اعلم لماذا استاءت هكذا مع ان الامر متوقع . وانه لمن الغباء ان أثور بهذا الشكل فهي لا تستحق ذلك . وها أنذا اعتذر منك .»

أتى صوته بارداً وهادئاً وكأنه يروي قصة لا تمت اليه بصلة . نظرت جاكلين اليه ، بعينين حائرتين اذ كانت الأفكار تتلاطم في رأسها ، بينما شرب ماتيو آخر نقطة من قهوته ونهض قائلاً:

«لنذهب الى المكتب . »

انصرم الاسبوع الذي تلا هذا الحديث كما أقبل ، من دون ان يجلب معه الا الامطار والرطوبة .

لم يعد ماتيو يشير الى تلك الليلة التي تكلم فيها عن دايانا . وأفضى عندئذ بما يجول في نفسه . لكن جاكلين لم تستطع ان تطرد من مخيلتها الجملة التي كانت دايانا تنعته بها: ماتيو منقذ العالم .

وجدت جاكلين هذه الكلمات قاسية جداً ، لأنها لمست من خلال احتكاكها المتواصل بماتيو انها لا تنطبق عليه . فهو لا يعمل من اجل الشهرة ، ولا لجمع المال ولا لانقاذ البشرية في افريقيا . ان مثاليته لا تتعارض مع المنطق السليم ، أو حقيقة العالم المادي . كان مقتنعاً في اعماقه بمبدأ المساواة ، وأن تتاح جميع الفرص المتكافئة لتحقيق كيان محترم. لقد سخرت دايانا من مبادئه ، واخطأت في فهمه، لذا نعتته بتلك الصفات . ما الذي دفعها الى ذلك ؟ رغبتها في ايلامه ؟ ام غيرتها ؟ لم تفهمه جيداً ، لأنها



لم تكتشف اهمية العمل بالنسبة اليه . ولم تستطع ان تشاركه هذا الشعور بل سخرت منه . فحياتها كعارضة ازياء لم تؤهلها لأن تفهم ماتيو . في إحدى الأمسيات ، تناولت جاكلين كتاباً تقرأه ، لكنها لم تستطع فهم ما قرأت فقد كان السؤال نفسه يجول في خاطرها :

هل يحب ماتيو دايانا فعلاً ؟ طبعاً انه يحبها . كانت ترفض بإصرار احياناً هذا الواقع مصفوعة بغيرة عنيفة ، هل ما زال يحب دايانا مع كل هذه الاختلافات بينهما ؟لم تشأ ان تسأل نفسها هذا السؤال ، ولكنه كان جاثماً بين طيات دماغها منذ زمن طويل . وإذا كان لا يحبها ؟فلماذا استاء من رسالتها الأخيرة ؟واختفى ساعات ليعود مصعوقاً ومهتزاً وحائراً . لقد تكلم عنها تلك الليلة . لكنه لم يسرد صفاتها ولم يتغزل بها .

اقترب عيد ميلاد جاكلين الواقع في الواحد من شهر آب (اغسطس) ، فبدأت تشعر بالاشياء ، لأنها تريد تناول العشاء في مكان ما خارج المنزل ، لكنها لا تستطيع إخبار ديفيد بذلك اليوم إذ ستضطره ان يشتري لها هدية وهذا ما لا تريده . اضطربت جاكلين وبدأت تقنع نفسها بأن عليها ان تتصرف بحكمة ، وليس كطفلة صغيرة في الرابعة من عمرها يرضيها قالب كاتو وبعض الشموع . أتى يوم عيدها، ولم يحصل معها شيء يذكر . شعرت بالوحدة والألم لأنها منبوذة ومنسية . حتى انها لم تتسلم تهنئة من والديها ... قد تأتي غداً . كانت تعد نفسها بيوم

غد . سيطر عليها حزن عميق ، ولم تستطع ان تفهم ضحكات ستيفن ولا طرائفه المتعلقة بالنعاج الشاردة . لا شيء استطاع ان يخلصها من رثاء ذاتها.

كانت الساعة تشير الى الخامسة عندما أحضرت سوزي مذكرة من ماتيو كتب عليها : هل من مشاريع الليلة ؟

حملقت جاكلين في الأحرف المنتشرة على الورقة . هل عرف ماتيو ان اليوم هو عيدها . لماذا لم يذكره لها ، ولم يشر اليه من قبل . رفعت كتفيها . لا انه لا يعلم ، والارجح انه يستفسر اذا كان بامكانها ان تعمل ساعات اضافية في المكتب ، أو انهما سيدرسان مشروعاً مفيداً هذه الليلة معاً في المنزل، كالمرتين الماضيتين . لا بأس ... لن يؤثر هذا في شيء حتى ولو عملت ليلة عيد ميلادها . لاحظت ان سوزي ما زالت تقف أمام مكتبها وبسرعة دونت «لا ... ليس لدي أي ارتباط .» ثم اعطت سوزي الورقة قائلة :

«اعطي هذه للسيد سيمونز من فضلك . »

ابتعدت سوزي وسمعت جاكلين صوت حذائها عبر غرفة الاستقبال .رتبت جاكلين مكتبها ،وتأبطت حقيبة كتفها . يجب ان تذهب الى المنزل اولاً كي تأكل شيئاً . كان ماتيو يمشي في الرواق . باتجاه غرفتها بخطى طويلة ووئيدة . انها تستمتع بالنظر اليه والى تحركاته . رافعاً رأسه ومبتسماً . لم يكن أنيقاً، ولكن شخصيته الصارمة جذبتها اليه . إنها



دوماً تخشى من هذا الانجذاب . قال وهو يدعوها الى العشاء :

«حسناً ، اذا لم يكن لديك ما تعملينه الليلة . فما رأيك في ان نتناول العشاء خارجاً . ونبتعد هذه الأمسية عن طعام كريسي الرائع ؟ »

اجابت بهدوء : «اتمنى ذلك . »

قطب جبينه وسألها :

«اين ديفيد ؟ هل هو خارج المدينة ؟»

«لا . إن ديفيد في اكرا كما اعتقد . »

زاد من تقطيب جبينه :

«اخبريني . اين تريدين ان نذهب ؟»

«اي مكان تريد عدا مطعم كودي حيث يتناول فيه معظم الموظفين الغانيين طعامهم لقربه من المكتب . »

ضحك وقال :

«لم اكن أفكر في مثل هذا المكان . اني افكر في مكان هادىء .»

«اذاً اني افضل كومودور. كم اتمنى ان اتناول بعض المأكولات اللبنانية كالتبولة والكبة والحمص . »

«حسناً . سنذهب اليه اذن . »

لم يشر الى عيد ميلادها . وما زالت جاكلين مرتبكة ، لماذا يدعوها الى العشاء ؟ قال ماتيو :

«ليتك تتركين شعرك منسدلاً فهو جميل . »

كان شعرها طويلاً ومتموجاً ومنساباً حتى خصرها. لن يضايقها، ولن تشعر بالحر بسببه ما دام المطعم مكيفاً . شعرت وكأنها فتاة مراهقة تلبي اول دعوة

من صديقها للمرة الأولى لم تدرك لماذا كانت تشعر بالخجل وبالسرور معا عندما أخذ ماتيو يطري شعرها .

طلب ماتيو عشاء فاخراً مع بعض المرطبات الباهظة الثمن ، وعندما احتجت جاكلين . ضحك وقال:

«هل يحتفل احد بعيد ميلاده بلا مرطبات فاخرة؟»

سألته ضاحكة :

«كيف علمت ان اليوم عيد ميلادي ؟ »

ضحك بدوره وقال :

«من الملف الخاص بك ، فعندما عهدت اليك بعملك الجديد في الشهر الماضي ، كان علي ان أعود الى ملفك من اجل الترقية التي حصلت عليها ، عندها لاحظت تاريخ ولادتك . »

وضع يده في جيبه وأخرج منها علبة صغيرة دفعها اليها عبر المائدة قائلاً :

«وهذه هي هدية العيد لأفضل مساعدة ادارية في افريقيا الغربية . »

سكتت وكأنها مصعوقة ثم نظرت الى العلبة من دون ان تلمسها . ابتسم لها وقال :

«الا تريدين ان تري ما في داخلها ؟»

«لا...لا استطيع ان اقبلها .»

اجاب بسخرية ممزوجة برعب :

«لا تخبريني انك تريدين ان نتشاجر هنا وامام الناس ؟ ماذا سيظنون ؟ »

وعندما لم تجبه التقط العلبة ، وفتحها ثم وضعها بالقرب من طبقها .



«هذه هدية مني اليك ، ارجو ان تقبليها .»

أخفضت جاكلين عينيها ، ونظرت الى العلبة . قرطان صغيران ناعمان من الذهب الصافي الذي صنع في غانا . وبحذر رفعتهما على راحة يدها وهمست :

«اوه يا ماتيو ، ولم هذه الهدية الباهظة الثمن ؟ »

«الم تعجبك ؟»

«اوه رائعة ...انها جميلة . »

«ولكنني احب ان اراها تتمايل في اذنيك.» اخذ منها القرطين وقال :« احب ان اضعهما لك بنفسي . »

أخجلتها كلماته فتضرجت وجنتاها احمراراً :

«لا تحرجني يا ماتيو ... ان المكان مظلم . ولن تشاهد بشكل جيد.»

دار حول المنضدة ، وجلس على كرسي بالقرب منها، وقال:« التفتي الي . »

كانت عيناه تعانقان نظراتها . فقررت ان تتابع هذه اللعبة معه . رفعت يدها ونزعت القرط الذي كان في اذنها . فرفع لها شعرها عن وجهها . شعرت ببرودة يديه عندما لمس وجنتيها الدافئتين : وقرب وجهه كثيراً منها وهو منهمك في عمله . اقلقها اقترابه منها، كما كان يحدث دائماً وبدأ قلبها يخفق بجنون.

وضع ماتيو القرطين بسرعة ، ولم يواجه اية صعوبة في ذلك . وعندما انتهى لم يتحرك بل نظر اليها :

«انك جميلة ، خاصة عندما تحمر وجنتاك هكذا . »

«اشكرك . »

«عيد سعيد يا جاكي . »

كانت مسرورة وسعادتها تفوق الوصف . ضحكت في وجه ماتيو وقالت :

«ولماذا اخترت هذه الهدية ؟ »

«هدية السلام . لانني كنت غبياً بشكل لا يغتفر له عندما وصلت الى هنا . ولأشكرك على لطفك لأنك استمعت الي وانا افضي اليك بأسراري . كنت في حاجة ماسة الى البوح لأي شخص بما يقلقني ويقضي مضجعي . »

«اشكرك يا ماتيو . انني مسرورة جداً . »

لكنها شعرت بالذنب ايضاً ، فلم تكن بريئة هي الاخرى لانها تركته في حيرة من أمره ، ولم تخبره عن حقيقتها ، وعن عملها السابق حتى وصل الملف الخاص بحياتها فاكتشف ذلك بنفسه .

«انني مسرور ايضاً .» امسك شوكته وبدأ بتناول طعامه .

وضعت جاكلين قليلاً من التبولة على ورقة خس ، ثم وضعتها في صحنها وقالت :

«ماتيو . »

نظر اليها نظرة ضاحكة أسرت عينيها .

«نعم . »

«اريد ان اعتذر لك بدوري . »

« تعتذرين ولماذا ؟»

«لم اكن انا ايضاً صريحة . كان علي ان احدثك عن خبرتي في العمل ، تركتك تعتقد اشياء خاطئة . فقد كنت حمقاء .

«اعلم .» بدا في عينيه لمعان داكن وعميق .



«دعينا الآن ننسى . اني أعرفك جيداً الآن . »

«ماذا تعرف؟ »

«اعرف انك تحبين عملك ، وتقومين به بأخلاص . يا جاكي لا اريد ان افقدك ولو كلفني ذلك العالم بأجمعه . »

هذا ما تتمنى فعلاً ان تسمعه منذ ان عملت معه . فان اباح لها بشيء ، فقد قال لها ما تريد . اعتراها قلق غامض لشيء تجهله ولم تدرك كنهه ، فشعرت بالانزعاج . ماذا كانت تتوقع اذاً . اخذت تتساءل .

«دعينا ننسى البداية السيئة ... انني اجد ان الامور غدت افضل في الآونة الاخيرة ، »

«نعم . » وتابعت طعامها من جديد .

لم يكن المطعم مزدحماً . وقد اضفت الشموع عليه جواً ودياً وعاطفياً مما جعل جاكلين تتأثر بهذا العشاء الفاخر ، وتستمع باهتمام الى ماتيو وهو يروي لها قصصاً مختلفة عن طفولته ، منها المضحك ومنها الحزين .

وصلا المنزل في وقت متأخر من الليل . ففتح لها ماتيو الباب الواصل الى غرفتها . تأملته . كان طويلاً جداً . سيطر على حواسها ، فشعرت برغبة جامحة في عناقه . شعور لم تستطع ان تفهمه .

قالت:«لقد امضيت امسية سعيدة يا ماتيو اشكرك .»

بدت نظراته دافئة وباسمة :

«حسناً . لقد استمتعت بصحبتك يا جاكي . انك صديقة لطيفة .» تقدم منها وقبلها ، شعرت جاكلين بعودة الشرارة وبالاهتزاز في اعماقها .

أخفضت عينيها ، ونظرت الى سترته الحريرية المطبعة بمشتقات اللون الاخضر . ارادت ان تخفي وجهها في صدره وان تشعر بيديه حولها .

رفع رأسها برقة ، فازداد اختلاج قلبها . التقت عيونهما ...وامتلأت نظرته بالحنان وبشيء آخر لم تفهمه . وفجأة تغيرت عيناه ... اصبحت نظرته داكنة ومبهمة . انزل يده عن وجهها بقلق وقال :

«تصبحين على خير.»

«اشكرك من اجل القرطين .»

ضحك ضحكة خفيفة وقال :

«انه من دواعي سروري يا جاكي ان اشتري قرطين لك . »

لم يبق الا ان تغلق الباب . اتكأت عليه ... داهمها شعور بالحزن . مشت ببطء الى الحمام ونظرت في المرآة . بدا وجهها حزينا . لكن القرطين اضفتا عليه لمعانا خفيفا تحت انعكاس الضوء وللحظة تأملت نفسها في المرآة ، ثم ما لبثت ان غطت وجهها بيديها. همست:« لا ... آه ..لا ...»

لقد وقعت في حب ماتيو . لن تستطيع انكار هذا اكثر من ذلك . لقد نمت مشاعرها في اعماقها تدريجيا، ولكنها الى الآن لا تريد البوح بذلك . شعور عميق خاص ... لا يقاوم، إنه الحب .

لم تكن لمساته تلك التي جعلتها تشعر بهذا الدفء. كانت تحب كل ما حوله ، عمله ، ومشاعره ومعتقداته، شخصيته ، وقوته ، وكبرياءه الذي سمح له ان يعتذر منها، لتصرفاته الخاطئة . وعلاوة على



ذلك انها تحب لحظات ضعفه وعناده وانفعاله . عندما استلقت في سريرها ، اخذت تفكر لماذا تخيفها حقيقة مشاعرها الى هذه الدرجة . يقولون ان الحب احساس ممتع ورائع يحيي القلوب والاوصال. ولكن هل هو حلاوة لا تدوم . لاح امامها الشعار الذي حملته الشاحنة . لا ليس الحب لذيذا دوما .

تتالت الايام على ما هي عليه . الى ان فاجأها ماتيو يوما قائلا :

«اريد ان اقضي اجازتي في الولايات المتحدة ، هل لك ان تتدبري امر البطاقة والحجز ؟ »

اجابت كالاغبياء :«اتسافر الى الوطن ؟ »

«نعم ... نعم ... طبعا .»

وسرحت بأفكارها في ان ماتيبأفكارها لى الوطن، سيسافر مدة شهر . ليته فكر في الذهاب قبل الآن . اما الآن فان مجرد التفكير في سفره لا يطاق ثم تابع وهو يضحك :

«الا تريدينني ان اذهب ؟»

«كنت افكر ماذا سنفعل خلال غيابك ؟ »

«انني متأكد انك والزملاء تستطيعون ان تتدبروا الامر بشكل لائق . »

«ومتى ستذهب ؟»

«من منتصف ايلول وحتى ( سبتمبر) منتصف تشرين الاول ( اكتوبر). »

اعطاها بعض التفصيلات ، وعاد الى مكتبه .

وفي احد الايام اتى مينيلا مع كوني الممرضة الى اكرا لانهاء عمل له وقد نزل عند بعض اقربائه .

طلب ماتيو من كوني ان تنام عنده في غرفة الضيوف مكثت كوني اسبوعا في ضيافتهما بسبب تأخير وصول المعدات المطلوبة، فقد استغرق حصولها على الادوات الطبية يومين ، حتى تسلمتها من الميناء مما آثار غضبها . كان ماتيو وجاكلين خلال مدة مكوثها معهما يستمعان الى التفاصيل الدقيقة جداً عن ضروب المحنة التي ألمت بها . وعلى الرغم من ان جاكلين سرت بزيارة كوني ، الا انها تنفست الصعداء عندما غادرتهما اخيراً . كما ان ماتيو رفع عينيه نحو السماء بارتياح . ضحكت جاكلين وقالت :

« ولكنها في الحقيقة لطيفة يا ماتيو . »

«صحيح . كادت ثرثرتها ان تصيبني بالجنون . »

كذلك، غادر ديفيد بعد اسبوع متجهاً الى كينيا ، حيث سيعمل ستة او سبعة اشهر . كانت الاسابيع الاخيرة فوضوية وغريبة ، حتى ان جاكلين شعرت انها تكافح بذهول هذه الايام ، وتشعر بعدم التوازن. عملت جاكلين جاهدة ، ولساعة متأخرة من الليل، كي تنهي اكبر قدر من الأعمال في الاسابيع التي سبقت سفر ماتيو. فانجاز العمل اثناء وجوده سيخفف من اعباء العمل وارادت ان تشغل نفسها كيلا تفكر في أمورها الخاصة .

وصلتها بعد عيد ميلادها بيومين عدة كتب من والديها كهدية . أيقن والداها ان الكتب ملكية ثمينة في بلاد لا يتوفر فيها الكثير من مجالات التسلية.

***

حان سفر ماتيو فقادته جاك



لين في الصباح الباكر الى المطار . واخذت تراقب الناس بينما وقف ينتظر دوره لتفتيش حقائبه . اجتمع جمهور متنوع من المسافرين في بهو المطار من افريقيين ، ، واميركيين، مرتدين ثياباً رائعة ، بما فيها جماعة من اللاعبين الرياضيين ونساء من نيجيريا بجدائلهن المتقنة. كانت امتعتهن محزومة في سلاسل وعلب مربوطة بالخيوط . انها لا تمل ابداً من مراقبة الناس .

حين اعلن وقت اقلاع الطائرة ، حمل ماتيو حقيبة يده وقال :«لا تنتظري يا جاكي ... لأننا سنبقى في قاعة الترانزيت مدة من الزمن . »

قالت بصوت طبيعي لم تخالطه حنين الشوق :

«حسناً . تمتع بعطلتك . »

ضحك في وجهها ، وربت على كتفها قائلاً :

«حظاً سعيداً يا جاكي سأراك الشهر المقبل . »

راقبته حتى غاب عن انظارها . ثم ادارت وجهها تحاول ان تبتلع لعابها على الرغم من تقلص حنجرتها . وببطء ذهبت الى الشرفة لمراقبته.

بدت الطائرة ضخمة ... حدقت فيها جاكلين لمدة، بينما اعتراها شعور حزين. بدأ الركاب يصعدون الى متن الطائرة ، وهي ما زالت على الشرفة . راقبت ماتيو وهو يتقدم بخطى وئيدة يصعد الدرج ثم يختفي داخل الطائرة . شعور بالوحدة سيطر عليها، وامتلأت عيناها بالدموع . « انك غبية » همست في اعماقها . مجنونة حمقاء غبية . استدارت وخرجت من المطار وكل شيء يهتز من حولها ، والألوان

تضطرب امامها . لم تكن قد ابتعدت كثيراً عندما سمعت صوت الطائرة يشق عنان السماء ، انهمرت دموعها من دون توقف . لم تستطع جاكلين ان تواجه المنزل الموحش او المكتب . وعند مفترق ساحة داكا انعطفت نحو اليسار باتجاه منزل ليزا .

حيت المشرف على منزل وقالت عندما دخلت المطبخ:«صباح الخير يا غوردسون هل السيدة تورنر موجودة ؟ »

«انها في غرفة الجلوس يا سيدتي . »

كانت ليزا جالسة على الاريكة تنظر الى مجلاتها المكدسة . نظرت الى الاعلى وما ان رأت جاكلين حتى بدت دهشتها واضحة. الصقت نظارتها بوجهها وهي تحييها :

«اهلاً جاكلين . ماذا تفعلين هنا في منتصف ايام الاسبوع ؟وخلال ساعات العمل هل طردك رئيسك؟»

اجابتها جاكلين :«لا . »

دفعت ليزا بالمجلات جانباً . ثم سألت جاكلين :

«تشربين القهوة معي اليس كذلك ؟ »

«اجل بكل سرور . »

«ذهبت ليزا لتعطي تعليماتها لغوردسون . وعندما عادت نظرت الى جاكلين وعلى وجهها تعبير قاس . وقالت لها : «حسناً . اليس اليوم موعد انطلا الرئيس الى وطنه ؟ »

جاء صوت جاكلين هزيلاً يفتقر الى الحماسة واجابت:«نعم . لقد عدت لتوي من المطار . لم ارغب في ان أعود فوراً الى المكتب . سأحتفل معك بارتداد



حريتي المفقودة ونشرب فنجاناً من القهوة . »

علقت ليزا ضاحكة : «شيء معقول فعلاً .»

دخل غوردسون الغرفة وهو يحمل صينية القهوة ، نهضت ليزا وأخذتها منه :

«شكراً يا غوردسون . »

وضعت الصينية على المنضدة ونظرت الى جاكلين.

«تشربين قهوتك بلا سكر او حليب . »

«نعم قهوة فقط من فضلك . »

تناولت الفنجان من ليزا وقالت :

«يبدو ان المكان هادىء ... اين طفلتك ؟»

«اخذتها كريس في نزهة . فهي تدرجها في عربتها كل يوم بعد تناول فطورها قبل ان يشتد الحر . »

جلست ليزا ورشفت رشفة حذرة من فنجانها ، وهي تتفحص جاكلين وقالت :

«اذاً ما هي المشكلة يا جاكلين ؟»

تنهدت جاكلين وقالت لنفسها لن تستطيعي اخفاء الامر عن ليزا ولن تخدعيها . وأردفت قائلة :

«نظراً لكل الحقائق والوثائق المثبتة لديك يا ليزا الا تظنين انني سأشعر بالسرور لأن ماتيو سيغيب عن وجهي شهراً كاملاً؟»

ردت ليزا ببرود :«من المحتمل . »

«ماذا تعني من المحتمل ؟»

تابعت ليزا :

«منذ مدة مضت كنت اجزم انك ستقفزين فرحاً إذا غاب عنك ، ولكنني لست متأكدة الآن، والارجح انك حزينة واعتقد انك كنت تبكين لتوك . »

لم تتفوه جاكلين بكلمة . حدقت في النوافذ العريضة حيث بدت من خلالها ازهار البوغنفيليه الزهرية والبرتقالية ، وكأنها سحابة من غيوم أمام الزجاج. ترى منذ متى وليزا تشعر ان احاسيس جاكلين تغيرت تجاه ماتيو . ثم تابعت ضاحكة :

«جاكي . هل تريدين ان تسمعي تحليلي ؟ »

ضحكت جاكلين قليلاً في وجه ليزا وقالت :

«نعم احب ان اسمع رأياً آخر . »

«اليك رأيي اذاً . انك تعانين من أزمة قلبية يسمونها الحب ... مستعصية ولا تعالج ، شعرت باصابتك منذ مدة بسيطة . »

اعترت جاكلين موجة عارمة من اليأس وضحكت بمرارة في وجه صديقتها وقالت :

«اي شيء سيء هذا الذي اصابني ؟ كم يصبح الانسان احمق احياناً . »

ضحكت ليزا وقالت :

«اي حمق هذا . انا لا ارى اية حماقة في هذا الموضوع . في الحقيقة اراك ذكية تماماً . »

«آه . »

«لست حمقاء لأنك تجاهلت علائم الحب التي اعترتك ، متظاهرة انك لا تحبينه . في حين بدأت تشعرين بهذه العاطفة وتحاولين تجاهلها . لقد اعترفت بالحقائق لنفسك ، وتستطيعين الآن ان تدرسيها . »

ردت جاكلين :

«رجاء ! اخبريني كيف ؟ »

«لنتحدث عن الاشياء الأولى اولاً . ماذا عن دايانا



؟ لم تعد على ما اظن . امتا زالت صورتها ماثلة أمامه؟»

هزت جاكلين رأسها :«لقد انتهى كل شيء بينهما . »

«اذاً فهو انسان حر الآن . »

«نعم . »

«اذاً ما هي المشكلة ؟»

كانت جاكلين معجبة بصراحة ليزا الواضحة والمباشرة . اما الآن فقد شعرت جاكلين بالارتباك حيالها . انتزع تحليل ليزا مشاعر جاكلين اذ شعرت انها تنتقدها . وانها تطرح مشكلتها كأية عملية حسابية ولكن الحب ليس هكذا . على الاقل ليس في هذه الحالة الخاصة .

كررت ليزا :

«اذا ما هي المشكلة ؟ »

«اوه يا ليزا لا اعلم . اتمنى لو اعلم .» احنت رأسها ووضعت وجهها بين ايديها وأردفت :« اريده ان يبادلني هذا الحب . ولكنه لا يفعل. بكل بساطة لا يفعل . »

قالت ليزا بصوت ناعم :

«اني لا اعلم ما الذي حدث بين ماتيو ودايانا . ولكن مهما حدث فانه مؤلم حتماً . لقد آلمته ... امنحيه فرصة كي يعود الى نفسه.»

«وهل تظنين انه سيحبني مع الزمن ؟»

ضحكت ليزا وهي تلصق نظاراتها في وجهها مرددة شعاراً قرأته على احدى الشاحنات :

«لا تفقدي الأمل يا جاكي ، اعطه فرصة كي يجمع

أشلاء نفسه . اذا كنت تحبينه فعلاً ، فقليل من الانتظار لن يؤذيك . »

همست في سرها ، قليل من الانتظار لا يؤذيني؟ كيف؟ وأنا أشعر ان غيابه عدة اسابيع قد طال . كان المكتب موحشا ومملاً اثناء غيابه . لقد افتقد الجميع غيابه . كأنه وحده سبب كل نشاط وفاعلية . حاولت في البداية ان تغير من نمط العمل، الا ان كل الموظفين عبروا عن استيائهم وتناقص حماستهم . ولهذا أوقفت جاكلين محاولتها .

ذهبت الى السرير في وقت مبكر حيث قرأت لمدة أطول مما اعتادت . تناولت الطعام مع ليزا وزوجها مرتين وكان هذا امتداداً لحياتها الاجتماعية . لو كان ديفيد هنا ... اخذت تفكر ولكنه ما زال نيروبي . كل يتمتع بأوقاته الا هي .

وكي تزداد الامور تعقيداً لم تسر الأمور على ما يرام اثناء غياب ماتيو . فقد مرضت سوزي وتوقفت عن اداء عملها . كما توقفت الثلاجة عن العمل . والثلاجة الكبيرة كانت ممتلئة بالسمك ، ودجاج الحبش ، والأرانب ، فأخذت جاكلين تسعى من هنا الى هناك طوال صباح يوم الأثنين علها تجد متسعاً في احدى الثلاجات . أودعت قسماً من الاطعمة لدى ليزا . ثم اودعت البقية في ثلاجة ديفيد ، بعد ان امضت ثلاث ساعات تبحث عن مفاتيح شقته . واخيراً وبعد عدة مكالمات ، اتى الميكانيكي ، وسحب الثلاجة فوق سيارة شاحنة صغيرة .

مضى اسبوع لم تتلق جاكلين اية مكالمة من شركة



التبريد التي تدعي انها ذات خدمات سريعة . مما اضطرها ان تذهب الى الشركة لتتأكد بنفسها .

فأجابها المسؤول:

«اننا نبحث عن القطعة الناقصة .» مؤكداً ان نصف موظفيه قد قلبوا المدينة بحثاً عنها ليلاً نهاراً من دون جدوى .

فسألته :

«هل استطيع ان أدون مواصفات القطعة الناقصة . ورقم موديل الثلاجة ... الرقم المتسلسل الخ ...

أحضر لها القطعة وأخذ يملي عليها ما تريد . اخرجت جاكلين دفترها وقلمها وسجلت ما تريد من معلومات بشأن القطعة . وعندما عادت الى مكتبها . أرسلت برقية الى نيو يورك ، تطلب منهم شراء القطعة وارسالها مع ماتيو . ومن حسن حظه فان القطعة صغيرة .

لم يكن بقاؤها بلا ثلاجة امراً مستحيلاً فقد تكيفت مع ظروف أصعب من هذه .

تنهدت وهي تنظر الى كدسة الأوراق التي على مكتبها . فقد تأخرت بدارسة الملف المالي . حاولت جاهدة ان تضبط امور الملف المالي ولكن من دون جدوى . وعندما عادت ظهر احد الايام لتناول طعام الغداء ، اخبرها كريسي ان المكواة قد احترقت ، فشعرت بحاجة الى الصراخ . قالت بسرعة وهي تبتلع طعامها :

«سأتدبر امرها فيما بعد . »

وفي المكتب عادت لدراسة الملف المالي وتابعت

عملها . ولما اشارت الساعة الى الرابعة بعد الظهر ، وجدت انها لم تستطع انهاء عملها . اذ كان الخطأ في الحسابات ما زال كما هو حملت الملف بيدها، لربما مراجعته في ما بعد يكون افضل. ثم خرجت من المكتب غاضبة ، ولم تعد ترى اي رقم آخر بعد ذلك .

وفي المنزل امسكت بالمكواة وهي في حيرة من أمرها . ماذا ستفعل بها . تذكرت انها شاهدت محل كهربائي في نهاية الشارع لا يبعد عنها كثيراً. اخذتها اليه واصلحتها وأعادتها الى البيت . انهكها التقرير المالي ، فأحضرته معها الى المنزل، علها تنهيه في تلك الأمسية . جلست الى مائدة الطعام الكبيرة التي تغطي بأوراقها الكثيرة ، وعادت لتتفحص كل رقم لديها مرة ثانية . يجب ان يكون هناك غلطة حمقاء في مكان ما .

واخيراً وجدت الخطأ في تقرير النفقات الصادر عن ماتيو . تراقصت الأرقام امام عينيها ، وهمست لنفسها وهي تشعر بخيبة مريرة . آه منك يا ماتيو. الا تستطيع ان تتركني وشأني حتى وانت بعيد ... دفعت بالأوراق جانباً ووضعت رأسها بين يديها .

عاد ديفيد من كينيا الى غانا قبل اسبوع من موعد قدوم ماتيو . حاملاً معه لجاكلين الكثير من الهدايا كالقهوة ، والجبن ، وقطعة قماش وسجادة من جلد الدب لم تستطع جاكلين عندما رأتها ان تكتم دهشتها . فقالت بنفس متقطع :

«آوه ديفيد ما هذا ؟ جلبت كل هذا ؟ »



اشرق وجهه بالابتسام :

«بكل سرور . ان قطعة القماش رشوة كي تصنعي لنا فطيراً بالجبن مع بعض القهوة المنشطة ثم لدعوتي لتناول العشاء في وقت آخر طبعاً . »

امسكت جاكلين بالقماش كي ترى ألوانه الباهرة وأردفت :

«انه رائع يا ديفيد ... لن اعثر على ما يماثله في الاسواق هنا .»

فأجابها وهو يحاول ان يستفزها :

«يفصل بين غانا وكينيا قارة بأكملها . »

حاولت جاهدة ان تلتزم الصمت فلم تفلح فأجابته :

«اعلم هذا ولكني أردت ان أبدي ملاحظة فقط . »

ثم طوت قطعة القماش ووضعتها جانباً سألته :

«هل اعد لك طعاماً . ليس لدي الكثير لأن ثلاجتي لا تعمل هذه الايام . »

«لا اشكرك . اتيت كي اصطحبك الى العشاء ، وأحدثك عن رحلتي . لقد اصطدت ثلاثة أسود فطاردها فيل ثم ابتلعتها الاحصنة . »

اجابته وهي تستوعب تماماً هذه الطرفة :

«ولكنك نسيت الافاعي والقردة.» هزت رأسها وتابعت:

«آسفة يا ديفيد ستجد هذه القصص المثيرة اهتماماً اكبر في الوطن حيث يتوفر لديك جمهور ساذج هناك.»

«كم تفسدين متعتي . »

«هل كينيا جميلة كما يقال ؟»

«انها عظيمة وساحرة . نعم انها جميلة . حسّني من مظهرك قليلاً لنخرج .»

* * *

بعد يومين، حان وقت عودة ماتيو الى غانا، تأخرت طائرة ماتيو . انتظرتها جاكلين بعصبية لم تشعر بها في أي وقت مضى . كان المطار مكتظاً وصاخباً وفوضوياً والطقس حاراً ورطباً . حتى عندما وقفت خارجاً على شرفة المطار كي تشاهد الطائرة عن كثب لم تشعر بأي نسيم عليل .

حطت الطائرة أخيراً . حملقت جاكلين جاهدة في جميع المسافرين وهم يهبطون سلم الطائرة ، ومشت الى نهاية الممر . لم تر ماتيو . ترى اين هو اذن ؟

انتظرت حتى خرج آخر مسافر من قاعة الجمارك . استسلمت للامر عندما وجدت ان المطار غدا مهجوراً . لم يأت . لم يكن على متن الطائرة ، احست بالاستياء وهي تعود أدراجها الى سيارتها . شعرت بالهزيمة والحزن . لن تأتي أية طائرة من نيويورك قبل الاسبوع المقبل .

مضت ليلتان وبينما كانت جاكلين تنعم بنوم هادىء ، سمعت قرعاً خفيفاً على مكيف هواء غرفتها وصوتاً يهمس :

«جاكي ... افتحي لي ... انا ماتيو .»

نهضت بسرعة وركضت الى الباب وقلبها يقفز بين اضلعها .

«انني آسف اضطررت ان اوقظك . لكن مفتاحي ليس معي ، ولم اجد كريسي في المنزل .»



تخطاها الى غرفة الجلوس . قالت له وهي تتوق ان تعانقه :

«لا تهتم لذلك .»

لكنه تابع سيره من دون ان يتوقف . مشى الى الباب الواصل الى غرفة الجلوس الرئيسية . ووضع حقيبته على ارض الغرفة بدون ان ينظر اليها مرة اخرى . تبعته الى الغرفة وهي تسأله :

«من اين اتيت يا ماتيو ؟»

«من لندن .»

«لندن !»

«اجل كان لدي مقابلة مع بعض رجال المصارف من اجل برنامج الاعتماد المالي ، تقرر الاجتماع في آخر لحظة ، ولم يكن لدي وقت لأعلمك بذلك . آسف لأنك ذهبت الى المطار يوم الثلاثاء بدون جدوى .»

«لا يهم .»

فرك عنقه وقال بتعب :

«كم طالت هذه الرحلة ؟ كان المفروض ان اصل الى هنا قبل ساعات . ما ان حان وقت هبوط الطائرة حتى انقطعت الكهرباء . فاضطررنا الى العودة الى ابيدجان ، حيث مكثنا في مطارها ما يفوق الساعة الى ان اصلح التيار الكهربائي .»

«هل احضر لك شيئاً لتأكله او عصيراً تشربه ؟»

«لا اشكرك . اني بحاجة الى النوم فقط ، ما الاخبار هنا ؟»

«حسناً . لم نواجه الكثير من المتاعب .»

«سأستحم وأذهب الى الفراش . وسنتكلم في الغد .»

أدار وجهه وذهب الى غرفته . جلست جاكلين على الاريكة لا تستطيع الحراك . لم ينظر اليها. كم تمنت ان تنكر ما اصابها من خيبة مريرة. ماذا كانت تتوقع اذاً ؟ حتماً لم تتوقع ان يعانقها ويضمها بعاطفة قوية . لم تشعر كم مضى من الوقت عندما عاد الى غرفة الجلوس.

«هل ما زلت هنا ؟ ظننت انك عدت الى سريرك . »

«ليس لدي رغبة في النوم . »

خفق قلبها بشدة عندما جلس الى جانبها .

«وأنا كذلك . انعشني الحمام . شعرت بالحيوية الآن.»

مرر اصابعه في شعره وضحك :

«كنت في طريقي الى المطبخ لاحضر كوباً من العصير. هل تريدين كوباً منه؟»

«لا شكراً . لا يوجد لدينا شيء بارد . »

«حسناً ، سأشرب قهوة . لقد احضرت قطعة الثلاجة معي . »

أحضر القهوة وقال :

«لم تحصل اية مأساة في غيابي اذاً ؟»

«لا . مرضت سوزي وغابت عن العمل لمدة اسبوع. تعطلت الثلاجة ، وتوقفت المكواة عن العمل. واستغرق تنظيم التقرير المالي ثلاثة ايام . »

ولم تضف ان السبب في ذلك يعود الى خطأ ارتكبه.

«هل هذا كل شيء . اني متأكد انك لم تنسي شيئاً . »

لم تستطع جاكلين النظر في عينيه . ويد مرتجفة امسكت فنجان قهوتها .



«هل انت بخير يا جاكي . ارى انك ترتجفين .»

اخذ الفنجان من يدها وامسك بوجهها ، نظر اليها قائلاً :

«اخبريني، هل هناك شيء ؟ هل حدث مكروه ؟ »

«لا ...لا...»

اجابته وقلبها يخفق بشدة انها كانت واثقة من انه يسمعه ، انها مشتاقة اليه ، الى نظراته ولمساته . لم تستطع كبح جماح عواطفها فأغلقت عينيها وقالت :

«عانقني يا ماتيو.»

اتى صوتها هامساً ... لم تستطع ان تقاوم عاطفتها تجاهه . انها بحاجة اليه ... عانقته بذراعيها ، وعانقها بدوره بحب وشوق يعجز الخيال عن وصفهما . انه بحاجة مماثلة اليها . لم تفكر بشيء سوى بموجات الحب والاشتياق الجامحة التي غدت كموجات الألم . دام انسجامهما لدقائق . وشعرت بيده تعانقها بحب ، فجأة وبعنف وقسوة ومرارة أبعدها عنه ...

«ماذا تظنين انك فاعلة ؟ »

اتت كلماته كالصاعقة فوق رأسها ، ودار العالم من حولها ، شعرت ان الألم يسحقها ... تجمدت أوصالها ... خافت من عاطفتها التي لا تقاوم . حملقت في وجهه فرأته قاسياً . وتلاشى الحب من نظراته لتصبح باردة وداكنة . كانت ترتعد ، وتشعر بالاشمئزاز من نفسها خجلاً . غصت الكلمات في حلقها . انها لا تستطيع ان تصلح الأمر الآن . ارادت ان تهرب ... ان تموت ... ان تدفن في التراب . وقف ينظر اليها قائلاً:

www.elromancia.com

«اشكرك لهذا العرض ... اشكرك لما قدمته لي ... لكن لا ... ليس لي الا ان اشكرك .»

وغادر الغرفة .



## الفصل الثامن

لم تعلم جاكلين كيف وصلت الى سريرها . كانت ترتجف من الاهانة ، وكاد ضيق صدرها يمزقها. انهمرت دموعها بغزارة ، وبللت وجنتيها الى ان استقرت على الوسادة. ماذا فعلت ؟ وكيف حدث هذا؟ لا لن استطيع مقابلته بعد الآن . كان عليها ان تقابله ، ولا تستطيع ان تتفاداه بطريقة أو بأخرى ... ستقابله في المكتب ... وفي المنزل ... ليس بالأمر حيلة . دقت الساعة الثالثة صباحاً ... ولم تزل جاكلين منفعلة ، وعصبية المزاج . حامت كلماته حول رأسها كالأشباح ... اشكرك لهذا العرض ... لكن لا ... شكراً . ماذا كان يقصد ؟عادت كلماته مرة اخرى تتردد في أفكارها . هل يقصد ان الفتيات ذوات الاخلاق الفاضلة لا يتهافتن على الشبان هكذا؟ وهل لهذا علاقة بحسن التربية . انها تحبه، وتسيطر على جاذبيته عليها تماماً فلا تستطيع مقاومته . وبعد محاولات عديدة داهمها نوم خفيف متقطع ...ثم ما لبثت ان استيقظت وهي تشعر بالانهاك . سحبت نفسها من السرير ، ونظرت الى وجهها في مرآة الحمام ، بدا وجهها كئيباً بتأثير الدوائر التي ظهرت تحت عينيها ، وتساءلت هل ستقابل ماتيو على مائدة الافطار ؟ عكس وجهها توقعاتها بعصبية . وبشكل لا ارادي ، جمعت قبضة يديها وبشدة وهمست لنفسها :

www.liilas.com

اخرجي اليه ... والقي عليه تحية الصباح . ثم اجلسي في الطرف المقابل له عبر المائدة . تناولي طعامك من دون ان تتكلمي كثيراً . ارفعي رأسك عالياً ، وانظري له وجهاً لوجه .

ترى هل تستطيع حقاً ان ترفع رأسها عالياً ؟ كما تملي عليها افكارها ؟ ليتها تستطيع ... انها تريد ان تبقى تحت الملاءات ، لئلا تراه ثانية ... والى الأبد .

استحمت ، وارتدت ملابسها وهي تبذل المزيد من الجهد كي تخفي آثار حزنها ، فوضعت كمية من مساحيق التجميل على وجهها . بينما بدأت معدتها تتقلص حتى شعرت انها استحالت عقداً . بدأت قدماها ترتجفان وهي تفتح الباب المؤدي الى الغرفة الرئيسية . لم يكن ماتيو موجوداً .وكان كريسي في المطبخ منهمكاً بقلي البيض فسألته :

«هل شاهدت السيد سيمونز ؟»

نظر كريسي اليها بارتباك وقال :

«وهل عاد السيد سيمونز ؟ »

لم يكن كريسي على علم بعودة سيمونز اثناء الليل . ومن الطبيعي ان ماتيو لم ينهض باكراً كالمعتاد بعد ان عاد منهكاً من لندن . تنهدت بارتياح وهمست لنفسها :

اذاً سيتأجل لقاؤنا حتى وقت آخر من هذا اليوم .

دخل ماتيو المكتب بعد عدة ساعات انيقاً ونظيفاً من دون ان تبدو عليه امارات التعب ، فقفز قلبها عندما رأته ، وتنشقت رائحة عطره. قال ببرود وهدوء :

«صباح الخير . ان بريدي مليء بالاوراق ، ولا



ادري كيف أرتبه ، فهل لك ان تساعديني لنسجل الاولويات.»

«سألحق بك خلال دقيقة . هل تريد بعض القهوة ؟ »

«نعم من فضلك . »

انها علاقة عمل بينهما ... لم تعلم جاكلين كيف استطاعت الاحتفاظ برباطة جأشها . نظرت اليه وكلمته ، وكأن شيئاً لم يكن . ولكنها نجحت مهما كانت الطريقة التي اتبعتها .

مضت الاسابيع تباعاً ، وجاكلين مرهقة كئيبة . تعمل بنشاط كبير محاولة الا تفكر بشيء شخصي، حتى بدت كالمخدرين ، لا تعي شيئاً مما حولها ، فقد كانت هذه الطريقة الوحيدة التي جعلتها قادرة على التلاؤم مع الحياة من جديد .

كانا يلتزمان الصمت ، او يتكلمان عن اشياء تافهة كلما جلسا المائدة . لم يلحظ ماتيو ان تصرفات جاكلين قد تبدلت . ولربما اراد ذلك . غدت تصرفاتهما كتصرفات الغرباء . ليس لأحدهما علاقة بالآخر. يبدو ان هذا الحاجز سيبقى صامداً بينهما . لكن جاكلين بدأت تشعر بفراغ عاطفي كبير وكأنها من عداد الاموات . كم من مرة اجتاحتها موجات الم نفسي حاد ، عندما كانت تختلس النظر الى اصابعه القوية ذات اللون الغامق وهو يوقع الرسائل ، والى شعره الملتف حول اذنيه . انها لا تكرهه ولا تستطيع بأي حال من الاحوال ان تكرهه. ما الذي انتابها في تلك الليلة عندما عاد من لندن؟ ما الذي جعلها تتأمل ، او تظن انه يكن لها الاحساس نفسه .

www.elromancia.com

انه الحب ! تلك الكلمة التي حلمت بها كما تحلم الفتيات الصغيرات بأمسيات حالمة في ضوء القمر، قبلات وورود ولمسات شاعرية في الظلام .
تتابعت احلامها لتستقر على رجل يصبح شريكاً لها، رجل يحبها ويحترمها لا لجمال شعرها الاشقر، وعينيها الزرقاوين ، رجل يدخل أعماق نفسها ليرى ما فيها فيقدرها.
«انني أعرفك جيداً . »
لقد همس ماتيو هذه الجملة وهما يتناولان طعام العشاء في أمسية عيد ميلادها . ولكن ما الذي يعرفه عنها؟ انها عاملة مجدة، لكنه لا يعرف انها امرأة ، ولم يشر الى هذا لأن انوثتها لم تثره . اذا لماذا عانقها بعطف وحنان ؟
اخذ اضطراب جاكلين بالازدياد ، كلما فكرت بالأمر، وماذا بدر منها ؟ لم تكن واثقة من شيء سوى حبها لماتيو انه الشيء الوحيد الذي لن يتغير . احبته ، ولكنها لا تستطيع ان تفهم أملها، انه الرجل الذي تريده ، وتريد ان تشاركه حياته .
ان حماس ماتيو لعمله ، واهتمامه بالذين حوله، كانا دوما مصدر اعجابها . انه يكافح ويناضل ليساعد الناس . انه رجل حنون . بل انه رجل بكل ما في هذه الكلمة من معنى . لقد ايقظ في داخلها احساساً لم يشعرها به احد من قبل ، وايقظت لمساته مشاعرها الدفينة التي اخذت تزمجر في داخلها طالبة المزيد من الحب . انها تشعر بحبها يزحف في داخلها كالألم العميق ، اغمضت عينيها طاردة جميع



الافكار الاخرى من رأسها ... يجب ان تعتاد الحياة بلا ماتيو ، وبلا حبه .
دعاهما ديفيد الى حفل في منزله . وحاول ان يتكلم مع جاكلين عندما شعر ان حزناً ما يلوح في الأفق . وبعد ان غادر الضيوف منزله ، قال لها :
«لن تستطيعي يا جاكي ان تقنعيني بأن شيئاً لم يحدث . فأنا واثق ان هناك شيئاً ما قد حصل والا لما ظهرت وكأن الحياة قد سلبت منك . »
اجابته بصوت حزين :
«لا استطيع ان اتكلم عما يؤرقني يا ديفيد.»
«لا تنسي انني صديقك . »
«انا ... انا ... » سحقها حزن مفاجيء ، فارتعش صوتها، وتلاشت رباطة جأشها ، حام وجه ماتيو حول ناظريها ... وكأن صوته جاءها من مكان بعيد: انك جميلة بشكل مميز ، شعرت بذراعه حولها لم تكن زراع ماتيو ... بل زراعي ديفيد . همس : «جاكي جاكي...» ضمها اليه وهو يمسح شعرها بيده .
صرخت في اعماقها ... لن ابكي ... لا لن ابكي ، فضغطت على حنجرتها ، لتحبس صوتها فآلمتها ، واحترقت الدموع في مقلتيها . وبعد لحظات هدأت، ورأسها فوق كتف ديفيد ، ومع انها ادركت انها لا ينبغي ان تفعل ذلك ، لكنها لم تهتم ، اخيراً رفعت رأسها وقالت :
«آسفة يا ديفيد . »
«لا تعتذري يا جاكي.» ابعد شعرها عن وجهها ، وانحنى يعانقها ويقبلها فلم تقاوم .

ليته كان ماتيو ...لا لم يكن ماتيو من يعانقها ... انه ديفيد ، ديفيد الذي كان وما زال لطيفا ودوداً دائما وهو صديقها ويفهمها جيداً . ليتها تحبه لانتهى الأمر بكل بساطة . ولكنها لا تحبه كما ينبغي ان تحب المرأة الرجل . ابتعدت عنه وقالت :

«يجب ان اذهب الى المنزل . »

«لماذا لا تبقين هنا يا جاكي .»

انتابتها موجة اغراء ما لبثت ان زالت : نعم لم لا ابقى ! لا يوجد عدد كثير من الرجال ممن لهم صفات ديفيد . سيكون لطيفاً وأنيساً كما انه يستلطفها وهي كذلك .

لا ان هذا لا يكفي . انها ليست بحاجة الى هذا الآن فردت مبتسمة :

«لا استطيع يا ديفيد . ليس من اللائق ان ابقى . »

«انك اعند امرأة التقيت بها في حياتي ، تعالي سأقودك الى المنزل . »

في سكون الليل ، وما ان جلست في السيارة الى جانب ديفيد ، حتى انتابها شعور بأن شيئاً ما سيحدث . لن تستطيع جاكلين الاستمرار هكذا ، وهي تشعر بخواء عاطفي في نفسها .

اوصلها ديفيد الى البوابة الكبيرة ، طبع قبلة على خدها ، وتمنى لها ليلة سعيدة .

وما ان وصلت الى غرفتها ، حتى وجدت الباب المؤدي الى حجرة الجلوس مفتوحاً على مصراعيه. كان ماتيو واقفاً امام الباب كالبرج يحملق فيها... وفجأة شحن الجو بالتوتر . وساد الصمت . بدد



غضبه السكون ، وقال بلهجة عنيفة وكأنما صفع جاكلين على وجهها :

« اين كنت حتى هذا الوقت من الليل ؟ »

نظرت اليه محاولة ان تهدىء من روعها :

«لا علاقة لك بهذا . »

اجابها وهو يتأملها بازدراء من رأسها حتى اخمص قدميها :

«استطيع ان اخمن بنفسي .» وتابع وهو ينظر الى ثوبها ، واقراطها المتدلية من اذنيها ، «الساعة الثانية من صباح يوم الاربعاء . هل تعلمين هذا ؟ هل كنت تتعشين معه مرة اخرى؟»

جفلت جاكلين لدى سماعها صوته المزمجر :

«اذا كنت تسمح لي فانني سأدخل غرفتي لانام . »

وما ان خطت نحو غرفة نومها ، حتى وقفت مذعورة ومتسمرة في مكانها ، فقد شعرت بيده القوية تقبض بشدة على ذراعها . حاولت ان تتحرر منه فلم تستطع فصرخت :«اتركني .»

تفجر الغضب في وجه كل منهما ، وشحن الجو بينهما بمزيد من التوتر الغاضب ، وتطاير الشرر ، فقال وهو يضبط صوته :

«أتتك مخابرة هاتفية الساعة الواحدة ليلاً ، ذهبت لأوقظك فلم اجدك في سريرك . »

اعتراها خوف مفاجىء ... مخابرة بعد منتصف الليل. لا بد ان هناك كارثة ... مخابرة من اميركا ... هل أصاب والداها ام جدتها اي مكروه ؟

فسألته :«ومن كان المتكلم ؟»

«لا اعلم . لم يعطني الاسم . اعتقد انه احد اصدقائك الشباب المعتوهين . وعندما وصلت لأرفع السماعة كان قد غير رأيه ، وأقفل الخط.»

سرت في اوصالها الراحة ... لو كانت مخابرة دولية لأدرك ذلك.

«آسفة لازعاجك في مثل ذلك الوقت . »

«ليست المسألة مسألة ازعاج . المشكلة الحقيقية هي انك لم تكوني في فراشك ، وقد تجاوزت الساعة الواحدة ليلاً . ظننت انك مطروحة في احدى القنوات تعانين من سكرات الموت ، او دهسك احد سائقي سيارات الاجرة المجانين . لا تستطيعين ان تتصوري بماذا كنت افكر . »

لا ... لا تستطع جاكلين ان تشاركه مخاوفه ، لأن هناك اماكن اخرى من الممكن ان يكون قد فكر فيها كبيت ديفيد مثلاً .

ردت جاكلين ببرود :

«انني مسرورة من اعماقي لاهتمامك هذا ... دعني أنام الآن . »

ومن دون ان يتفوه بكلمة ، ادار ظهره وخرج صافعاً الباب وراءه ، فدوى صوته في انحاء المنزل .

جلست جاكلين على الشرفة ، تحاول ان تقرأ كتاباً بعد ظهر احد الايام من منتصف شهر نوفمبر . لم يجذبها الكتاب، بل سرحت تتأمل الازهار ، والوان الحديقة الخضراء المتعددة . كم تحب هذا المكان ، وان فقد كل شيء ضياءه وبريقه هذه الايام .

امضت جاكلين ايامها التالية ، وكأنها لعبة



اوتوماتيكية تحاول الا تشعر ، او تفكر ، انما تقوم بالاعمال الواجب تأديتها من دون اي اهتمام . ولكن ما ان تخلد الى هدوئها ، وتعود الى نفسها في مثل هذه اللحظات ، حتى كانت الاسئلة تطاردها . لماذا احبت ماتيو ؟ ولم لا تحد من تفكيرها به وتنساه ؟ ان الحب يضفي اشراقة على حياة المحب ، ويجعله يتوهج سعادة . لكنها مع الاسف لا تشعر بهذا .

اجل . للحب حلاوة ولكن ليس في جميع الاحوال . ان حبها حزين ، ويملأ نفسها الما . فكلما شاهدت ماتيو او سمعت صوته ، او فكرت به ، تشعر بالحزن العميق فمتى ستتخلص من هذا الشعور ؟

نقنقت دجاجات كريسي في الخارج ، واخذت تتطاير لتقف على الجدار الذي يفصل حديقتها عن حديقة الجيران . سمعت صوتاً بعيداً ، وما لبثت سيارة ديفيد ان وقفت عند البوابة الكبيرة .نظر اليها بتكشيرة عريضة ، وقال:

«مرحباً يا حلوة ، هل انت مشغولة ؟»

«لست مشغولة . اجلس هل تريد شراباً بارداً ام قهوة؟»

«افضل شاياً مثلجاً من فضلك . »

قفزت جاكلين بسرعة الى المطبخ حيث جلبت الابريق والاكواب وفاجأها قائلاً : «لدي اخبار سارة اريد ان ازفها لك . فانت اول انسان يجب ان يعلم بها. »

«اخبرني . اخبرني .»

«لقد نلت ترقية في عملي ، وسيرسلونني الى الفيليبين.»

حملقت في وجهه وقالت :
«الفيليبين ؟»
«الست فرحة من أجلي ؟ »
«نعم ، ولكنني سأفتقدك . »
«وأنا ايضاً يا جاكي . » ثم سكت واخفض رأسه وبصوت منخفض سألته :
«ما بك يا ديفيد ؟ »
نظر اليها نظرة طويلة وأجاب :
«لا، لا شيء يا جاكي . لم نحصل معاً على ما نريد.»
«ليتنا استطعنا . »
«يا ليت . »
«كم تمنيت ان احبك بدوري ، واذهب معك الى الفيليبين و...
حانت حفلات الوداع ، ودعيت جاكلين وماتيو الى معظمها ، فكان كل منهما يذهب بسيارته وحيدا ويعود كذلك . اقامت ليزا في منزلها حفلاً ، دعيت جاكلين اليه ، في حين لم تعلم جاكلين عن ماتيو شيئاً ، واين امضى ذاك المساء .
أقام احد اصدقاء ديفيد حفلاً في بيته الريفي على الشاطىء . كان كريماً اذ انار الشاطىء بمصابيح على البطارية . وقدم طعاماً فرنسياً باهظ التكاليف، احضره من توغو. امتلأ الشاطىء بالمدعوين الذين رقصوا على الانغام الموسيقية. كان الظلام حالكاً ، والتيارات شديدة . لم تستمتع بالحفل ، لأنها لا تعرف معظم المدعوين . ولم تكن لديها الرغبة لتتعرف على



أحد منهم . بل لم تكن لديها الرغبة في ان تفعل شيئاً في الآونة الاخيرة .
ابتعدت عن الناس والأضواء والضحكات ، وجلست وحدها بعيدة عند جذع شجرة قرب مياه الشاطىء . لم تستطع الابتعاد اكثر ، فقد كان الظلام شديداً،وهي منهكة القوى .
كانت تنظر الى أفق البحر الأسود كالتائهة ، وتستمع الى صوت ارتطام الأمواج العالي على الشاطىء . وتنظر الى زبد الموج المتلألىء تحت أشعة القمر .
احست فجأة ان احدا يقترب منها ... ولم تتعرف اليه الا عندما لاح خياله الطويل ، ووقف مخيماً امامها كالبرج .
«جاكلين ؟»
«ماتيو .» امتزج الألم مع دقات قلبها المتسارعة . لماذا الرعشة والخوف ؟ مم تخافين ؟ انه ماتيو ...
جلس الى جانبها على الارض وقال :
«اريد ان اتحدث اليك يا جاكي . »
«لا اريد التحدث عن العمل، انني هنا في حفل وأود الاستمتاع به . »
«ليس الحديث عن العمل ... »
لم تجبه، بل تقلصت كل عروقها ، واخذ قلبها ككرة الطاولة يخفق بجنون .
« لم تنظري الي ، ولم تكلميني منذ اسابيع . لم استطع الالتقاء بك بمفردك ، فاحياناً يعترضني كريسي ، واخرى سوزي ،او اي شخص آخر . »
«لا اريد ان اكون وحدي معك . » شعرت ان صوتها

ممتلىء بالخوف وبدا الغضب واضحاً في كلماتها .
«لكني اريد ان اكون وحيداً معك . »
أمسك بكتفيها، وجذبها اليه بعنف . تسللت يداه حولها ، وقبل ان تدرك ما حدث كان يعانقها بعنف. كانت تشعر به . يقترب منها ، فاجتاحتها موجة من الذعر . لن تدع المأساة تتكرر ... لا لن تدعها ...
ابعدت وجهها عنه بعنف وقالت :
«لا تلمسني ... لا تلمسني ابداً بعد الآن . »
لكن ذراعية طوقتاها بشدة ولم يدعها تذهب .
تدفقت ذكريات تلك الليلة في ذهنها عندما عاد من لندن ، وحز في نفسها الذل الذي عانته . لم تشعر به وكأن كل احساس تجاهه قد اختفى فجأة . ولم يبق لديها الا الألم والمرارة ، التي شعرت بهما في تلك الليلة ، والهستيريا التي اخذت تتصاعد في اعماقها لدى كل لمسة من لمساته . لا انها لا تريد ان يلمسها.
صرخت : «دعني اذهب، دعني .»
حاولت ان تفلت من قبضته لكنه امسكها بعنف وكأن ذراعيه طوق من حديد ، وكلما حاولت الابتعاد عنه ، كلما ضمها اليه بعنف اشد .
«اهدأي يا جاكي . »
امسك بكتفيها ، واخذ يهزها بعنف . سرت رجفات غريبة في اوصالها ، وادركت انها كانت تشهق . ولم تستطع ان تكبح جماح نفسها . كان البحر يزمجر في اذنيها ، وبمحاولة يائسة اخيرة استطاعت ان تحرر نفسها. وبخطوات متعثرة هربت منه تتلمس طريقها في الظلام عائدة الى البيت . دخلت ورمت نفسها على



السرير وهي تشهق بحركات لا ارادية . وما ان مضت لحظات ، حتى كان ديفيد يقف الى جانبها والقلق باد على وجهه .
«جاكي ... ماذا حصل ؟»
«لا شيء .»
واشاحت بوجهها عنه .
«لا شيء ... اتركني وحدي رجاء . »
«لقد دخلت الغرفة وانت تبكين ، كأن العالم قد انتهى، وتقولين ليس هناك شيء .»
قرب المصباح الموجود على المنضدة منها حتى يراها بوضوح اكثر .
«ما هذا . »
لمست اصابعه يدها . كانت لمسات ماتيو العنيفة واضحة .
«لا شيء ... لا شيء .»
« هل حاول احد أن يؤذيك، جاكي اخبريني.»
«لا ... لا .. ليس كما تتخيل، ليس شيء من هذا القبيل يا ديفيد .» سمعا طرقاً خفيفاً على الباب فاستوت جاكلين في جلستها .
«لا تدعه يدخل يا ديفيد ... لا تدعه . »
خرج ديفيد من الغرفة في اللحظة نفسها . سمعت اصواتاً عالية ومضطربة ثم غدت خافتة الى ان تلاشت . لم تسمع كلمة واحدة مما قيل . اسندت ظهرها على الوسادة وهي تشعر بتقلص في جسمها. بدا الوقت طويلاً قبل أن يعود ديفيد وحده الى الغرفة.

قدم لها كوباً من العصير المثلج . اخذت تشربه ببطء دون ان تنظر اليه .

«هل كان ماتيو بالباب هنا ؟ »

ساد صمت قبل ان يجيبها :

«اجل انه ماتيو . »

«لم يحدث ما تخيلت يا ديفيد . »

«لا . انني اعلم . »

لن يخبرها ديفيد عن حديثه مع ماتيو . ولكن الأمر لا يهمها . انعشها العصير ، وهدأ من روعها ، فتركها ديفيد كي تعود الى الحفل . اطفأت المصباح ، وحملقت في الظلام . كانت اصوات الموسيقى ، وضحكات الحضور تتهادى اليها عبر النافذة على اجنحة النسيم.

فكرت ملياً واخذت تخطط ماذا ستفعل :

يجب ان اذهب ... لن اتحمل اكثر من ذلك ، يجب ان اغادر هذا البلد واطلب نقلي الى بلد آخر . لا استطيع العيش هنا .

عاد ديفيد بعد حوالي الساعة الى غرفتها ، وقال :

«سأصطحبك الى المنزل فقد حان وقت العودة .»

«لا لقد اتيت باحدى سيارات المكتب وسأعود بها . لم آت مع ماتيو . »

«ستأتين معي الآن ، وسنعيدها يوم غد الاحد.

ولم يتفوه بكلمة اثناء الطريق الطويل الى المنزل.

* * *

سافر ديفيد في الاسبوع الذي سبق يوم العيد الى اميركا واعداً اياها ان يزور والديها . كم تمنت ان



تذهب هي ايضاً . كي تبعد عن اكرا وعن ماتيو . لم تعلم كيف ستمضي الاسابيع المقبلة ريثما يوافق مكتب نيو يورك على نقلها ، ويرسل لها اشعاراً بذلك حيث ستخبر ماتيو .

حان وقت رياح الهارمتان ... وهي رياح شمالية شرقية تهب على افريقيا . فتكسو السماء برداء من الغبار الرمادي المصفر تحجب الشمس وتزيد في ارتفاع الحرارة . لم يغير هذا الجو الكئيب من حالة جاكلين النفسية . الا ان الشمس بدت بشحوبها وكآبتها تشبه حياة جاكلين الى حد كبير .

أقامت عائلة تورنر بمناسبة الاحتفال بالعيد حفل عشاء . ساعدت جاكلين ليزا بتحضير الطعام. وبينما كانت ليزا وجاكلين تعملان بالمطبخ سألتها ليزا :

«اعلم انه ليس من شأني ان اسألك عن هذا التغيير الذي طرأ عليك. »

«انها الهارمتان الا تعلمين تأثيره على الناس ، انه يغير من نفسيات الناس فيصبحون كالمجانين .»

نظرت ليزا اليها وقالت :

«انظري الى نفسك . لقد نقص وزنك . كما انك تبدين تعسة ، ومنغلقة على نفسك كصدفة البطلينوس . ماذا حصل بينك وبين ماتيو يا جاكي ؟ »

لم تقل جاكلين اية كلمة ، بل اخذت تحملق بغباء في علبة البهار التي بين يديها ، وفجأة قفز شيء ما بداخلها وتدفقت كلماتها :

«آه ليزا ، ليس كل شيء على ما يرام ... لقد كنت غبية جداً . وقررت ان اترك هذا البلد . لم

اعد احتمل اكثر من هذا . يجب ان ارحل . »
افضت لها عما يدور في اعماقها . ها هي قد اخبرتها بما قررت ، لا بأس فليزا صديقتها . سألتها ليزا وقد هوت يدها على المنضدة الطويلة .
«انت ...ماذا ؟»
«سأقدم استقالتي . »
«لماذا ؟»
«لأني لا احتمل وجود ماتيو حولي اكثر من هذا . انه لا يريدني. كان الشهران الماضيان مزعجين للغاية . اننا لا ننسجم ونتشاجر بصورة مستمرة . »
ترقرقت الدموع في عينيها ثم انسابت فوق وجنتيها.
«انك تحبينه يا جاكي . »
«اعلم ، اعلم ذلك لكنه لا يريدني . »
وضعت ليزا يدها على يد جاكلين ، وسحبتها باتجاه غرفة الجلوس قائلة :
«تعالي نجلس ، اخبريني ما حدث . »
«انه يظن بأنني فتاة رخيصة . »
«ولماذا يظن ذلك ؟»
«حسناً . آه يا ليزا ... ماذا اخبرك ؟ شيء مخيف انني محرجة تماماً . »
«اخبريني بالامر.»
اخبرت جاكلين ليزا بما يؤرقها . تدفقت الكلمات واحدة تلو الاخرى . كانت جاكلين تنظر الى الازهار وهي تحدث ليزا ، دون ان تنظر اليها . وبعد ان انهت جاكلين حديثها قالت ليزا :



«الافضل ان تخبري ماتيو انك تودين ان تغادري اكرا . »
لم تلاحظ جاكلين انها جمعت قبضة يدها . كانت صورته تلوح امامها . عضت شفتها وهزت رأسها بيأس :
«لن اخبره حتى يأتي الاشعار من المكتب من نيويورك . »
لم يلق طلب جاكلين بالنقل من غانا الى النيجر اي حماس لدى المسؤولين في نيويورك .
ارتجفت يدا جاكلين وهي تتابع قراءة الرسالة .
«اننا بحاجة اليك في غانا لأنك تقومين بعملك بشكل ممتاز ولا نريد ان نخسرك هنا . »
ومع انها تعلم هذا الا انها تمنت لو نظروا الى الامر بشكل جدي . وبينما كانت تتابع القراءة لاحت الموافقة بين السطور :
وبما ان البرنامج في النيجر اتسع بشكل يثير الاهتمام في العام الماضي . فاننا بحاجة الى موظفين آخرين . ونظراً لأن جاكلين تتمتع بخبرة اكتسبتها في غانا ، ونظرا لأنها تجيد الفرنسية ، فانها بالتأكيد تستطيع ان تملأ الوظيفة الشاغرة .
ولكن رجاء ، مضت الرسالة تقول ، هل تعيدين النظر في طلبك؟ لأن تدريب شخص آخر في مكانك سيضيف عبئاً اضافياً فوق كاهل السيد سيمونز .
انني لا اهتم فكرت جاكلين بمرارة . ليتعذب قليلاً . فانه يستحق ذلك . ثم تابعت :
حسناً . انهم لا يستطيعون حل مشكلتها هنا. ولكنهم

www.elromancia.com

يستطيعون توظيفها في النيجر . وسينقلونها الى هناك ، ان لم تغير رأيها . هذا كل ما كانت تتمنى ان تعرفه .

اعادت الرسالة الى المغلف ، وتنفست الصعداء .

يجب ان تخبر ماتيو الآن . خالجها شعور بالاضطراب والدفء عندما فكرت به .

لا لن تخبره الآن وقد تفعل بعد الظهر . ان ماتيو يقضي نهاره في مشروع النعاج ، ولن يعود قبل السابعة او الثامنة مساء .

تناولت عشاءها مبكرة ، ثم جلست في غرفة الجلوس تقرأ كتاباً ، وترشف فنجاناً من القهوة . لم تستطع ان تقرأ . كانت مضطربة وعصبية المزاج ، وكلما سمعت صوت سيارة عند المنعطف زادت خلجات قلبها . وبينما كانت تفكر ادركت فجأة وبوضوح ان هذه ستكون النهاية . ان ذهابها للنيجر سيضع حداً لكل هذا . سيخمد بصيص الامل الذي اخذت ترعاه بين حناياها . سيخرج ماتيو من حياتها ولن تراه ثانية . ولكنها ستستمع الى اخباره عن طريق الشركة.

تصورت نفسها في النيجر ... في مدينة جديدة ... ومكتب جديد ، ورئيس جديد وبداية جديدة . لن اكون سعيدة . تملكها شعور غريب، سأرثي نفسي وأبكي لفترة . ولحسن حظي فان الدموع تجف بسرعة في هذا المناخ الصحراوي . حاولت ان تسلي نفسها بالقاء هذه النكتة . ليس هذا مضحكاً ، مهني بالتأكيد ستعاني كثيراً من الوحدة اقنعت نفسها بأن لا داعي



للقلق . لن تكون الظروف التي ستواجهها هناك اسوأ من هذا الوضع ، والذي استطاعت ان تتكيف معه . ولكن مهما حاولت اقناع نفسها ودعم معنوياتها، فانها ليست متحمسة في اعماقها لتكسب خبرات جديدة . تلاشت رغبتها في المغامرات المثيرة . لم يعد يثيرها شيء بلا حب .

عاد ماتيو مساء وقررت ان تخبره صباح اليوم التالي . ولكنها خشيت ان يغدو الامر اصعب . على الاقل ستترك له فرصة يتناول طعامه اولاً . وعندما دخلت غرفة الجلوس الرئيسية وجدته جالساً الى منضدة الطعام ، وأمامه العديد من الأوراق المنتشرة، كان مستغرقاً في عمله فلم ينتبه لوجودها . كانت اصوات الموسيقى مختلطة بأصوات صرصار الليل تتداعى الى آذانها من النافذة المفتوحة . خفق قلبها بشدة . تنفست بعمق محاولة ان تهدىء من انفعالها.

«اريد ان اكلمك يا ماتيو . »

رفع رأسه عن اوراقه بلا تردد :

«نعم ما الامر ؟ »

حل القلق مكان العصبية ونظرت اليه بتحد .

«انني اقدم استقالتي . لقد طلبت نقلي وقد تقرر ايفادي الى النيجر .» أعقب كلماتها سكون مميت . لم تتأكد من معنى ملامحه المنعكسة على وجهه تكذيب ام دهشة ، غضب ام خوف الى ان انفجر صارخاً :

«انت ماذا !»

ارتجفت من عنف لهجته .

«هل سمعتني ؟ آمل ان تكون مسروراً الآن . لم ترغب في وجودي في وقت من الأوقات وها أنذا اغادر المكان . »

«لا لن تذهبي . »

شحن الجو بينهما بالغضب والتوتر . نظر احدهما في وجه الآخر بقلق واحباط .

لم تكن تتوقع ردود فعله هذه ، كانت تفكر بمرارة انه سيتصرف دائماً بالطريقة نفسها .

اسند ماتيو ظهره على الكرسي وقال :

« هل لي ان اسألك لماذا ؟ »

«من اجلنا نحن الاثنين . »

«نحن ! »

اجابته وثورتها عارمة ، وقدماها ترتجفان :

«نعم انت وانا ... اننا لا ننسجم ، ولا نتفاهم . بل اننا نتشاجر دوماً وهذا ما يتلف اعصابي . ليس في نيتي ان اصاب بمرض عصبي بسببك . انك لا ترغب بي ، وبامكانك ان تجد من يحل مكاني . لست فريدة من نوعي ولكنني صاحبة كبرياء واباء .»

اجابها بصوت هادىء وغريب :

«انني لا أوافق على مغادرتك . »

تنفست جاكلين بعمق :

«اعطني سبباً معقولاً يستوجب بقائي ؟»

جاء صوتها عالياً وغاضباً ، فيما قدماها لا زالتا ترتجفان . بدا كل شيء ساكناً للحظة . والتقت نظراته الغامضة والداكنة بنظراتها ، وهمس :

«لأني احبك ...»



دار العالم من حولها ، ولم تصدق ما سمعت . لا لن يفعل ذلك ... لن يلعب تلك اللعبة القذرة مستغلاً عواطفها ليجبرها على البقاء. بأحد الكراسي.

هدأت من نفسها ونظرت في عينيه :

«لا يا ماتيو . لا . لن تخدعني .

www.elromancia.com

## الفصل التاسع

استدارت وركضت خارجة من المنزل. تخطت ماتيو وانطلقت في سيارتها كالمغشي عليه لا تدري الى اين تذهب . كان جل همها ان تبعد عن ماتيو وعن المنزل ، وعن الحقيقة المدمرة . لقد سخر منها ، ومن عواطفها الصادقة فأصابها بخيبة أمل . لم يكن ماتيو ذاك الانسان الذي تخيلته .

ضغطت بقوة على عجلة القيادة . ان كل ما يهمه هو ان تستمر في عملها ، لأنه سيصاب بالارهاق فيما لو استلم احد ما عملها . تذكرت قوله : لن اتخلى عنك ولو كلفني ذلك العالم بأسره . عادت تلك الكلمات تتردد في اذنيها . اجل لقد أخبرها بهذه الحقيقية يوم عيد ميلادها . ليست غبية لتلك الدرجة حتى ترضخ، لن تفسح له المجال ليتلاعب بها ويستغلها كيفما يشاء .

ليس من الحكمة ان تقود سيارتها ، والدموع تعمي ناظريها . قد تدهس احداً ما ، يجب ان تأوي الى اي مكان ، وان تتحدث الى أي شخص . ليس أمامها خيار سوى ان تذهب الى ليزا ... ولحسن حظها وجدت ليزا في المنزل . ارتمت جاكلين فوق الأريكة ، وهي تجمع قبضة يديها بعصبية ، محاولة ان تهدىء من انفعالها . سألتها ليزا بصوت مفعم بالاضطراب :

«جاكي . ماذا حدث ؟»

لكن جاكي لم تتكلم ... وكأن احداً اقفل فمها.



كساها الغموض وجه ليزا. اما جون فقد وضع في يد جاكلين كوباً من العصير .

وقال :«اشربي العصير . لا تتكلمي . »

اخذت تشرب العصير ببطء ، وهي تشعر بالهدوء الذي بدأ يزحف في أوصالها . لاحظت ان جون ترك الغرفة لتبقى وحدها مع ليزا التي سألتها : «هل تريدين ان تتكلمي عما يضايقك . »

«نعم . نعم أعتقد هذا . »

«لا تبدأي من الاول ... تابعي لي ما يحدث . أخبرته انك ستستقيلين اليس كذلك ؟ »

« نعم.»

أردفت ليزا :

«ولم يبد أي حماس لهذه الفكرة . »

«لا » بلعت جاكلين لعابها ، «كيف عرفت ؟»

ابتسمت ليزا وقالت : «مجرد احساس . هل اخبرك لماذا . »

هزت جاكلين رأسها بيأس ، وهي تشد قبضة يديها بعنف . وبدأت الدموع تتراقص في مقلتيها :

«قال انه لا يريدني ان اغادر أكرا لأنه ... لأنه يحبني.»

أغمضت عينيها ، وتابعت :« انه يستغلني يا ليزا . لأنه يعلم شعوري نحوه . لقد اكتشف ذلك وها هو الآن ينتهز الفرصة . »

«منذ فترة مضت اخبرتني يا جاكي بنفسك انه ينظر اليك كفتاة مستهترة اليس كذلك ؟ »

دفنت جاكلين وجهها بين يديها وقالت :

«لا أعلم يا ليزا ... لا اعلم . لم أعد أفهم شيئاً . انه

يتصرف بشكل غريب معظم الاحيان اني لا اعلم ابداً ماذا يقصد .»

كانت دموعها تتناثر فوق أصابعها ... لاحت صور ماتيو أمام ناظريها ... فبدا لها تارة قاسياً وغامضاً وأخرى صديقاً مبتسماً.

ضحك منها عدة مرات ليغيظها . واحتقرها كثيراً في الماضي ، حتى انها تشعر بصفعته المعنوية ، اذ سمعت كلمات لم تسمعها طوال حياتها : ماذا تظنين انك فاعلة ؟ اشكرك لهذا العرض ... لكن لا اريد ... ليس عليّ الا ان اشكرك .

ما زالت كلماته تؤلمها ، وستبقى أليمة دائماً وأبداً .

ولكن ، لا ... لقد مرت أيام حلوة معه . عندما كان يغيظها من دون حقد ويبتسم في وجهها ، ويأخذها بين ذراعيه ... ويعانقها ... لقد قدم لها اقراطاً ذهبية ليشكرها على لطفها . بدا مخلصاً انها واثقة من ذلك.

لقد تغير كل شيء الآن . لماذا انقلب كل هذا ليلة عودته من لندن رأساً على عقب ؟

رفعت عينيها ونظرت في وجه ليزا :

« لا اعلم يا ليزا ... فكل شيء حولي يوحي بالفوضى. لقد فكرت مليا . ولكنني لم أفهم ما تعنيه كل هذه الفوضى . »

اجابت ليزا : « هل فكرت يا جاكلين ولو لمرة واحدة انه يعني ما يقول ؟ وانه اخبرك الليلة بصدق عواطفه مؤكداً انه يحبك . »

حملقت جاكلين في ليزا كالحمقاء وهمست :

«لا ... لا . »



هزت ليزا رأسها وهي تشعر بنفاد صبر وقالت بصوت ملؤه الاسف:

«ارأيت ؟ أرأيت ما اقصده . ان احدكما يؤذي شعور الآخر دوماً . انك ترفضين تصديق ما قال . وتفهمين عكس ما يقول . وكأنكما اتخذتما قراراً بأن تشهرا العداء والألم بينكما . انكما تدفنان كل شيء لذيذ يربطكما تحت حاجز من سوء التفاهم . لهذا اصبحت لا تلمسين الحقيقة . هذا محزن يا جاكي . وانك غبية.»

وبعد تقريع ليزا، اجابت جاكلين بجفاء :

«شكراً ، اشكرك فقد منحتني الراحة والعطف اللذين كنت افتقدهما . »

اجابت ليزا بصوت رقيق :

«آه يا جاكي . لا استطيع ان ابقى مكتوفة الايدي وانا ارى كلا منكما يحطم الآخر . أعلم انك عنيدة ومعتدة بنفسك . ولكن هذا لن يفيدك في شيء صدقيني . »

«اذاً . لماذا يعاملني هكذا ؟ لماذا يهينني بهذا الشكل؟ اعني عندما عاد من لندن...» خفت صوتها ، وهي تتذكر كلماته في تلك الليلة المروعة.

«لا اعلم يا جاكي يجب ان يكون هناك سبب ما . اسأليه . »

«كيف تقولين هذا يا ليزا ؟ وكيف أجرؤ ؟ »

تنهدت ليزا وغيرت من جلستها :

«استمعي الي يا جاكي . علمني الزواج خلال اربع سنوات ان التفاهم لا يأتي اعتباطاً ، يجب ان تسعي اليه . تكلمي ... اسألي...ولا تخمني ابداً . »

www.elromancia.com

«ولكنني لست متزوجة ماتيو . »

«انك تحبينه . هذا هو المهم . »

لم تجب جاكلين . نظرت ليزا الى جاكلين وقالت لها:

«تذكري انك اخبرتني انه أتى اليك ليتحدث معك على الشاطىء ولكنك لم تفسحي له المجال، هربت ... لماذا؟ لماذا لم تمنحيه فرصة؟»

عادت الذكريات تتلاطم في مخيلتها . احساسها بقربه .. خوفها من ان تضعف امامه ، فيشعر انه ما زال مسيطراً عليها .

«لم استطع ... وببساطة لم استطع . »

تنهدت ليزا وقالت بأسى :

«انكما من النوع نفسه . لن تفسحا لبعضكما أية فرصة للتفاهم . يجب ان يحطم أحدكما هذه الحلقة المفرغة . انه دورك الآن ، اعني اذا كنت تريدينه فعلاً، فيجب عليك ان تفعلي شيئاً قبل فوات الاوان . فهو من البشر ايضاً يا جاكي . اعطه فرصة أخرى . هذا أمر عائد اليك . اذهبي وكلميه . قولي انك آسفة .. قولي شيئاً .»

«لا ... ليزا اني لا استطيع . »

هزت ليزا جاكلين بعنف وهي تمسك كتفيها :

«جاكي عليك ان تختاري بين كبريائك وحبك . »

قادت جاكلين في وقت متأخر سيارتها بحذر وببطء تام الى أوسو . مرت بمحطة البنزين ثم بالمخبز وبالسوق . وقف بعض الناس على قارعة الطريق ، بينما جلس آخرون يتحدثون . كانت حوامل الخضار فارغة اذ عاد البائعون الى بيوتهم . ترى هل نام



ماتيو الآن ؟ يجب ان تكلمه قبل ان تخذلها شجاعتها في الغد . كان الظلام مخيماً على غرفة الجلوس الرئيسية . دخلت الصالة بهدوء ... فوجدت النور مضاء في غرفة ماتيو . ارتجفت قدماها ومسحت شعرها بيدها ، ثم دفعته الى الخلف ، صبت لنفسها قليلاً من الشراب الخاص بماتيو ثم عادت الى الغرفة وأخذت تفكر بيأس : لا استطيع ان اتكلم معه ، لا استطيع ان ابوح له بحبي .

وفجأة قررت ان تأخذ دوشاً لتسترد نشاطها . ثم ضحكت في نفسها وقالت : سأدخل اليه بعد الاستحمام فيما اذا استمر ضوء غرفته مشعاً ، فهذا سيكون اشارة حسنة وستجري الأمور على ما يرام. اما اذا اطفأ ضوء حجرته فان المحاولة ستذهب سدى . كثيراً ما عمدت الى هذه الحلول عندما كانت صغيرة . معتبرة ان القدر يحدد لها تلك الاشارات .

خلعت ملابسها ووقفت تحت الماء البارد الذي اشعرها بالانتعاش، ثم نظفت اسنانها . ارتدت تنورة حريرية وقميصاً ثم حزمت شعرها الى الاعلى . نظرت الى نفسها في المرآة ، فتاة مدرسة لطيفة ، لا تقفي هكذا اذهبي اليه. عبرت غرفة الجلوس ماشية على رؤوس أصابعها الى الصالة ، وأغمضت عينيها. ثم أخذت تفتحهما ببطء .كان الضوء لا يزال مشعاً. زادت دقات قلبها وملأ الرعب حنجرتها . ماذا سأقول له؟ فكرت أخذ غضبها يتفاقم في أعماقها .. سيسعفك الكلام هيا... تنفست بعمق وقرعت الباب وقدماها ترتجفان .

«من ؟»

«انني جاكي .»

ساد صمت مطبق لبرهة .

«حسناً ، ادخلي .»

كان جالساً الى مكتبه والمكيف يدوي في الغرفة ويبردها ، أغلقت الباب خلفها بهدوء واستندت اليه.

«حسناً . هل بامكاني مساعدتك ؟»

كان وجهه هادئاً دون ان يحمل اي تعبير خاص .

قالت بصوت متقطع : «أريد ... ان اعتذر .»

«لماذا ؟» اصبح صوته اكثر رقة وبعداً ..

«اريد ان أعتذر عما قلته في تلك المناقشة الغبية التي خضناها معاً هذا المساء .»

حرك رأسه قائلاً :«تناسيها .»

كان فمها جافاً : «لا ... لا ... لا أريد ان انساها .»

هز كتفيه :«لا اعلم ماذا تقصدين ... افعلي ما يحلو لك .»

ان كبرياؤه عنيف ايضاً . ان ليزا على حق . لقد آلمته بدوري . اما الآن فانه ينسحب ليختفي تحت هذا القناع السخيف من اللامبالاة الذي لا تستطيع ان تتجاوزه . انه لا يريد ان يساعدها لتدارك الموقف، فاعترتها موجة من اليأس ، وعضت شفتها حين قال: «ستغادرين اكرا سريعاً وسينتهي كل هذا .»

لم ينظر اليها كانت عيناه تحدقان بشيء ما على المكتب .

«اني لا أريد ان أغادر أكرا يا ماتيو .»

شعرت انها تتهاوى من صخرة عالية الى الأسفل



والى الحضيض. أطبقت عينيها بعنف ثم فتحتهما ثانية .

علا وجه ماتيو قناع من اللامبالاة . لم يكن هذا هو الانطباع الذي اخذته وكأنها وقعت في دوامة لا تستطيع ان تحطم قيودها . حاولت الاحتفاظ بأفكارها واضحة، ولكنها فقدت قدرتها على التفكير. عادت كلمات ليزا تقرع آذانها . يجب ان يزيل احدكما سوء التفاهم. انه دورك الآن . فتدفقت كلماتها من دون أدنى سيطرة عليها :

«اني لا أريد ان نتشاجر اكثر من ذلك يا ماتيو . ان هذا مؤلم كثيراً . كم أود ان أغادر لا لأني اكرهك ... ولكن لأن ... لأني ...» عضت شفتها كي تخفف من حدة ارتعاشها ، فذاقت دموعها المالحة . أدركت انها تتخاذل ، واردفت:« لأنني لم اعد احتمل يا ماتيو اكثر من هذا . لقد ظننت انك تتلاعب بي ... وتعاملني كفتاة مستهترة .»

غطت وجهها بيديها وتساءلت، ماذا أخبره ... لا بد انه سيضحك ساخرا .

«لم تصدقيني .»

رفعت رأسها مندهشة لسماع صوته الذي تبدل فجأة ونظر اليها.

«رفضت ان تكلميني ولم اجد وسيلة أخرى أخوض بها غمار نفسك . لم يكن لدي اكثر مما قلت . ولكنك لم تصدقيني.» أشاحت بنظرها عنه فلم تحتمل ان ترى الألم واضحاً في عينيه وقالت :

«لا .»

«لماذا؟»

«لم اكن اتوقع ذلك ... ظننت انك ... »

«انني أقول أحبك لأحتفظ بك في الوظيفة . »

«نعم . »

«لست انا يا جاكي الذي يتخذ من الحب وسيلة.» نظر اليها بعينين سوداوين داكنتين وقال :

«يكفي ما يعانيه قلبي من مرارة . أريد ان أحيا بالحب . »

«دايانا انها دايانا دوماً . كان عليها ان تسأله عنها الآن : يجب ان تعلم ...»

«هل احببت دايانا ؟ »

زم فمه وقال:«دايانا ... هل أحببت دايانا ؟ لا ليس كلمة حب صحيحة في هذا المجال كنت مهووساً بها ومأخوذاً، أحمق ومجنوناً وأدركت هذا الآن.» خلل اصابعه في شعره وبدا متعباً ومرهقاً .

بلعت جاكلين لعابها وسألته بصوت قلق من دون ان تعلم ان كان لها الحق في ان تطرح مثل هذه الاسئلة :«لماذا انزعجت اذا عندما استلمت رسالتها الأخيرة ؟ لماذا لم تفرح ان كان كل شيء بينكما قد انتهى ؟ »

«جاكي . حاولي ان تفهمي . كان الأمر كاذباً وسخيفاً. لم افشل في الحصول على شيء قبل الآن. لم افقد شيئاً مهماً الى الآن عدا تلك الصداقة غير الممكنة . جرح كبريائي قد تبدد ... لم أشعر بمثل هذا الذل ابداً في حياتي . ولكنني أريد ان اعرف لماذا تصرفت انت بتلك الطريقة



يوم عودتي من لندن ؟ لماذا فعلت ذلك . لماذا؟»

احمر وجهها حرجاً : «لم اخطط لذلك يا ماتيو . اذا كنت هذا ما تخشاه. لقد حصل ذلك تلقائياً . كان ذلك للمرة الأولى في حياتي. »

لم تتجرأ على النظر في عينيه .

«لقد افزعتني . »

حملقت به من دون ان تفهم وقالت : «أفزعتك ، لماذا وكيف ؟»

«كنت أخشى من انفعالي، من عاطفتي نحوك . فعندما لمستني حركت مشاعري . »

أشاحت بوجهها عنه وقالت :«هل كان ذلك سيئاً للغاية ؟ »

«نعم يا جاكلين انك لا تدركين هذا . لم أثق بعواطفي تجاهك . كما انني لم أثق بعاطفتك نحوي . كنت متضرجاً بالألم والغضب . لقد هزمتني دايانا .فكان عليّ ان ألم شتات نفسي. رفضت الارتباط بأي عاطفة جديدة ، ما لم أتأكد منها . وعندما التقينا ، وكنت بثوب نومك ظننت انك تنسجين شباكك حولي. »

«لم انسج شباكي حولك ... لا .»

«آسف لم أفهمك . أعتقد ان الأمور توضحت الآن . »

وقف ينظر من النافذة . شعرت جاكلين بالانهاك يسحقها ، فجلست على احدى المقاعد الخشبية ، ويداها في حضنها وأدركت ان هذه المحاولة لا تقودها الى شيء . على الأقل انهما يتحادثان من دون مشاجرة . حدقت في ظهره العريض وتساءلت ترى بماذا يفكر ؟ بدا كل شيء معقدا

للغاية . وفجأة قطع ماتيو حبل تفكيرها :
« تعلمين يا جاكي انني رفضتك عندما أتيت الى هنا لأسباب شخصية ، وأخرى تتعلق بالعمل . ولكن ثبت لي فيما بعد انني كنت مخطئا .» نظر في وجهها وتابع :« انك كل شيء ، لم تستطع دايانا ان تكون مثلك. لك قلب وعاطفة . » توقف قليلاً ونظر اليها بعمق. « انك تجيدين عملك ، وأعتمد عليك في كثير من الامور . بدأت اقدرك على المستوى المهني ... وما لبثت ان اعجبت بك كامرأة . لم أتح لمشاعري ان تتدفق ، ولم أعرها أي اهتمام الى ان ذهبنا الى تامال. داهمني شعور مفاجيء بأني أحبك ، ولكنني كبحت جماح نفسي وبسرعة ، لم أكن مستعداً للحب. لم اشأ ان اتورط وبسرعة للمرة الثانية ولهذا ارتكبت بعض الاخطاء.» تنهد من اعماقه متابعا:« لا أعلم اذا استطعت ادراك ما جرى بعد هذا الحديث . »

«أعتقد هذا . »

أصبحت تصرفاته واضحة الآن . ها قد بدأت تفهم لماذا انسحب فجأة عندما كان يعانقها في تامال. لماذا لم يعانقها بعد ان عاد من العشاء يوم عيد ميلادها .

كان ماتيو لا يزال واقفاً امام النافذة يحملق بها وتابع : «وكان هناك ديفيد يا جاكلين . »

«ديفيد ؟ »

«لم استطع ان أتخيل مدى علاقتكما . لم أفكر ان حباً يربطكما لأن الاختلاف واضح بينكما . »

غصت حنجرة جاكلين باليأس :



«آه يا ماتيو ، لماذا يبدو كل شيء معقداً هكذا ؟ لم اشأ ان يكون كذلك انني وديفيد ...»

«اجل . لقد اخبرني ديفيد كل شيء في سهرة حفل الشاطىء . »

«ماذا اخبرك ؟»

«قال انكما صديقان.» وسكت مدة طويلة ثم أضاف «وانك التي أردت ان تستمر علاقتكما كنوع من الصداقة . »

هزت رأسها بالايجاب .

«لم يفهم أحدنا الآخر بشكل جيد يا جاكي اليس كذلك ؟ واذا قررت البقاء ، فاننا سنبدأ من جديد . سنأخذ الأمور ببساطة وبلا تعقيد . »

«نعم سأبقى .»

مد لها يده وقال : «تعالي الى هنا يا جاكي .»

مشت اليه كالمذهولة ، ووضعت يديها في يديه .

«انظري الي . »

خيّم السكون ... والتقت عيونهما باحثة عن الحقيقة .

قال بحب وحنان :

«احبك يا جاكي . »

«احبك يا ماتيو . »

لم يحدث شيء خلال اللحظة المؤلمة التي مرت . ثم عانقها بحرارة فشعرت بشرارة تعاود أوصالها ، دفنت وجهها في صدره .

همهم قائلاً :« لماذا فعلنا كل هذا ببعضنا ؟»

وبحركة عنيفة رفع وجهها اليه وقبلها . لم تقاومه ... استسلمت اليه بكل قواها . متخلية عن اتزانها .

لا يهمها شيء بعد الآن . فموجات الحب تتدفق في أعماقها . أبعدها بلطف ونظر الى وجهها قائلاً :

«آسف يا جاكي لأنني جرحت كبرياءك وآلمتك تلك الليلة عندما عدت من لندن . لم أفهم انك ...»

«ماتيو . »

انهمرت دموعها بغزارة . لم تعد تتحمل أكثر .

«لا تبكي ، لا تبكي . »

ضمها اليه برقة وأخذ يمسح شعرها بيديه .

«انك لا تعرف ما هو شعوري .»

لم تسعفها الكلمات لتعبرعن فرحتها وسعادتها .

«أعرف ، أعرف . »

رفع رأسه بعد لحظات بهدوء ونظر في عينيها بعمق، وهمس بصوت منخفض :

«أحذرك يا جاكي . انه لمن الأفضل ان تقبلي بي زوجاً . واياك ان تقولي انك لا تؤمنين بالزواج . »

ضحكت جاكلين برقة وقالت :

«انني متمسكة بالتقاليد التي تخص الزواج . أريد زواجاً حقيقياً ، مسجلاً تربطه روابط حقيقية وكل الاجراءات الرسمية.»

«رائع ، هذا ما كنت أتمنى ان أسمعه . »

عانقها بحب وقال :«انك لطيفة وناعمة وجميلة . وأحبك ... أحبك حباً يفوق الوصف.»

تمـــــــــت